صناعة

الجواسيس!!

نظرية وخطوات صناعة وانتقاء عملاء المخابرات..
وأشهر أساليب التدريب التي تنفذها أجهزة المخابرات العالمية..

عصام عبد الفتاح

القاهرة – **2008**

مكتبة جزيرة الورد - المنصورة

ت : 2257882

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

إهـــداء

إلي كل شاب..

.. الوطن بعد الله.. والدين..

وكنوز الدنيا لا تتساوى أن يوصم المرئ بخيانة وطنه..

ومهما كان النظام فاسداً.. والحكام ظالمين.. يبقى الأمل دائماً في الله..

فإن لم يصلح من ولّى.. فلندعوه " أن يولي من يصلح "..

لكن.. إلا الخيانة..

عصام..

المقدمة

ستظل الجاسوسية هي ثاني أقدم مهنة عرفها الإنسان في التاريخ.. وأكثر المهن تشويقاً وغموضاً.. وسيظل الجواسيس أكثر الناس خطراً على مختلف الدول ومصالحها في جميع أنحاء العالم.. فهم بمثابة قنابل بشرية شديدة الأثر.. و تكمن خطورتهم في مقدار المعلومات التي يمتلكونها والوظائف التي يشغلونها.. وبأي حال من الأحوال لا تستطيع أية دولــة إطلاقاً تجاهل الجاسوسية.. ويمكننا أن نستعير من القانون تعريفه الشهير للجريمة القائل: (الجريمة ظاهرة إحتمالية في حياة الإنسان.. حتمية في حياة المجتمع) لنعيد صياغتها بهذا الشكل فنقول: (الجاسوسية ظاهرة إحتمالية في حياة الإنسان.. حتمية في حياة المجتمع).

وكل إنسان لديه بشكلٍ أو بآخر ما يستطيع تقديمه من معلومات لمن يُقدّر قيمتها وتكون بالنسبة لـه ذات أهمية.. وعلي هذا الأساس يمكننا القول إنه وإن كان كل إنسان من الممكن أن يصبح جاسوساً.. إلا أن من يصلح بالفعل لهذه المهنة الاستثنائية هم القلة من هؤلاء.. وهي قاعدة من أهم قواعد عالم الجاسوسية.. لكن تحاط دوماً بالعديد من علامات الإستفهام.. مثل.. من هو هذا الشخص؟.. وما قيمة ما لديه ليقدمه؟.. وكيف يمكن الإستفادة منه.. ثم.. كيف يتم اكتشافه.. وبعد اكتشافه كيف يتم تدريبه.. ثم هل سينجح.. أم يكون مصيره الفشل.. وهي كلها إرهاصات للسؤال المبدئي.. والأهم.. هل يصلح.. أم.. لا يصلح.. فهذا العالم لا يعترف بالفشل.. ولا بالتجريب.. فالغلطة الأولي فيه.. هي الأخيرة.

وكل تلك الأسئلة السابقة.. بالرغم من بساطة صياغتها في كلمات مكتوبة تقرأ علي الورق.. وبين صفحات الكتب.. إلا أنها فقط مجرد توصيف مباشر وسهل لعملية معقدة.. شديدة الصعوبة.. متعددة المراحل والإجراءات.. يتحمل عبء الإجابة عنها أناس علي

أعلي قدر من الذكاء.. والتدريب.. لإنتقاء الأفضل.. وفرز من يصلح.. ممن لا يصلح.. ومؤسسات تمول كل ذلك.. وتدفع بلا حساب.. وهذا بشكل عام علي مستوي جميع أجهزة المخابرات العالمية.. بلا استثناء.

***

ولخطورة طبيعة هذا عمل.. يمكننا القول أن هناك تباين شديد بين العديد من الجواسيس.. ما بين البطولة المطلقة.. والأدوار الثانوية.. فهناك ما نستطيع أن نوّصفهم.. بأنهم مجرد كومبارس علي خشبة المسرح.. بينما هناك طائفة من الجواسيس هم الأبرز علي خريطة الجاسوسية عالمياً.. استطاعوا بحق أن يعيدوا صياغة التاريخ.. فقلبوا موازينه.. وأحرزوا بدهائهم وحيلهم انتصارات عديدة لبلادهم.

الجواسيس وقود الحرب..!!:

والحروب هي الميدان الرئيسي دائماً لعالم الجاسوسية - و إن لم يصبح الأوحد ولا الأهم كرد فعلي منطقي لتطورات تكنولوجية سنتحدث عنها في حينها - فالحرب دائما وقودها الأول هم طائفة الجواسيس.. الذين عادةً ما يطلق عليهم تسمية الطابور الخامس.. يبذلون أقصي ما في وسعهم من جهد لتقديم كل ما يمكن جمعه ومعرفته من معلومات عن الأطراف الأخرى من أحوالهم العامة اقتصادياً.. واجتماعياً.. وما يملكونه من ترسانة وقواعد عسكرية.. وتلك المهام جميعها لا يستطيع القيام بها إلا جواسيس.

***

فهناك علي سبيل المثال وليس الحصر الجاسوس الشهير (فرانسيس والسينجهام) الذي حارب بضراوة من أجل تأمين عرش الملكة إليزابيث الأولى.. وآخرون كانوا من أهم أسباب انتصار قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية مثل (ريتشارد سورج) وهو الملقب في كتب الجاسوسية بالأستاذ.. وعلي النقيض هناك من تسبب في كوارث

للأجهزة التي يعمل لصالحها مثل جاسوس الموساد الأبرز (ولفجانج لوتز) الذي عمل في القاهرة كضابط ألماني سابق.. وتسبب في ضربة قاتلة للمخابرات الإسرائيلية بغباء وسفه لا يصدر عن جاسوس محترف.. بل وهناك جواسيس تسببوا بنجاحاتهم.. أو إخفاقاتهم.. في إقالة العديد من أجهزة المخابرات.

والفرق بين الفريقين يأتي دائماً من حسن إعداد وصناعة الجاسوس.. فالإعداد الجيد يخلق بلا شك جاسوساً علي نفس القدر.. حتي وإن كانت قدراته الشخصية - وهي من أهم متطلبات هذا العمل - ليست علي مستوي متميز.. والعكس هو الصحيح تماماً.. فمهما كانت القدرات الخاصة للجاسوس متميزة.. ويتسم بسرعة البديهة.. والذكاء الحاد.. إلا أن إهمال تدريبه لا يخلق منه جاسوساً متميزاً علي الإطلاق.

***

ومعظم كتب الجاسوسية - إن لم تكن جميعها - تهتم دائماً بالقصة التي يتعرض لها العميل وتدور حول حياته.. وما مرّ به من مواقف معظمها بالطبع يتسم بالإثارة المستمدة من طبيعة العمل نفسه.. وتتجاهل في نفس الوقت خطوات صناعة الجاسوس.. ومن هنا تبزغ الفكرة الأصلية التي يتصدى لها هذا الكتاب.. وهي (صناعة الجواسيس).. نعرض لها خطوةً.. خُطوة بكل مراحلها.. مع الاستدلال بنماذج تطبيقية من حياة أشهر وأخطر الجواسيس.. وكذلك شرح للفروق بين عمل بعض أجهزة المخابرات.. وكذلك بعض النقاط المشتركة فيما بينها.

عصام عبد الفتاح - القاهرة 2008

تمهيد:

ماذا تعني الجاسوسية..؟

جاسوسية القرن العشرين:

بدأت فكرة تطوير أجهزة المخابرات مع اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث بدأ اعتمادها كسلاح فعلي يدرس في المعاهد العسكرية والأكاديمية.. وحدثت ثورة كبيرة في مجال تفعيل دور الجواسيس وتجنيد العملاء المؤهلين لتقصي الأخبار وتحديد المنشآت المهمة في الدول المستهدفة.. مردها الأول إلي ما حدث أثناء فترة ما يعرف بالحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية بجهازها المخابراتي المعروف بالـ (سي آي إيه C. I. A) من طرف.. والاتحاد السوفيتي سابقاً بجهازه المخابراتي والذي كان يعرف بالـ (كي. جي. بي.. K. G. Z) وكانت هاتان الدولتان هما القوتان العظميان في العالم في تلك الحقبة من القرن الماضي.. وهي حقبة نهاية الستينيات والسبعينيات دخولاً إلي منتصف الثمانينيات حيث لم تتوان أي منهما في محاولة تهديد أمن الطرف الآخر للهيمنة على العالم ولإثبات أنها الطرف الأقوى.. ويمكننا القول أن أجهزة المخابرات بعملها التقليدي من إغتيالات وخلافه لم يكن لها دور يذكر في حسم الحرب الباردة لصالح الغرب.. حيث حسمتها عوامل أخرى مثل القوة الاقتصادية.. والتقدم التكنولوجي والتطورات السياسية.. لكن النجاح الحقيقي لأجهزة وأعمال المخابرات تمثل وقتها في منع الحرب الباردة من التطور إلي حرب حقيقية ومدمرة.. ولعل هذا هو ما لفت نظر جميع الدول إلي ضرورة تطوير نظم عمل.. وأهداف المؤسسات التخابرية.

والآن.. لم يعد أحد في هذا العالم يمكنه الإدعاء بأنه يمتلك معلومات سرية.. فمتى ما خرجت المعلومة من العقل وأصبحت مسجلة على أي حاسب آلي فقد أصبحت علي المشاع.. حيث تستطيع أية جهة أو شخص ما لديه القدرة التقنية أن يحصل على تلك

المعلومات في لمح البصر.. وأي إنسان اليوم يستطيع أن يتعرف على الشارع ورقم المنزل الذي يعيش فيه أي شخص يحتاج إلي معرفته.. بمجرد أن يعرف رقم تليفونه.. كما أن أي بطاقة عادية من تلك التي تفتح أبواب غرف الفنادق المنتشرة في كافة أنحاء العالم تحمل في شريطها الأسود الخلفي معلومات تفصيلية عن الساكن.. ليس فقط رقم بطاقته الائتمانية.. بل معلومات تفصيلية عن جوازسفره وتاريخ ميلاده وعدد ابناءه.. ومهنته.. وما إلي ذلك.. عندما تقع تلك البطاقة في أيدي غير صديقة تصبح كل تلك المعلومات متاحة.. هذا على مستوى الأشخاص العاديين.

فما بالنا بأجهزة جمع وتحليل ومعالجة هذه البيانات هي شغلها الشاغل والأساسي.. فالحقيقة أن ما نعرفه كأشخاص عاديين من معلومات.. هو جزءصغير مما تعرفه تلك الأجهزة المختصة.. حيث أصبح العالم كله بالفعل قرية صغيرة يستطيع أي إنسان أن يركب صاروخ التكنولوجيا ليخترق به في جزء من الثانية حاجزا الزمان والمكان.. لينتقل من شرق العالم.. إلي غربه.. ومن شماله.. إلي جنوبه.. كل ذلك بضغطة إصبع علي لوحة المفاتيح الخاصة بأي كمبيوتر متصل بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

ولنضرب علي ذلك مثلاً شديد الشيوع حالياً.. ويتباهى به صانعوه وهم الأمريكان.. حيث تحتفظ إدارة الهجرة في الولايات المتحدة وفي غيرها من الدول الكبرى بمعلومات تفصيلية تقريباً عن أي شخص في العالم.. تحصل عليها بطرق مختلفة منها تقديم طلبات الزيارة.. أو الدخول إلي الحواسب المركزية المختلفة في عدد من الدول التي تحتفظ بمعلومات عن المواطنين.. ولعل أفضل دليل علي ذلك المذبحة التي حدثت عام 2007 في مدينة فرجينيا الأمريكية.. والتي راح ضحيتها عدد كبير من الطلاب.. فمعظم المعلومات التي توفرت عن القاتل بعد انتحاره جاءت من خلال أجهزة الكمبيوتر

الشخصي الخاص به.. [1] فالكمبيوتر والتليفون المحمول وكثير من وسائل الاتصال الحديثة هي بمثابة (جاسوس مصاحب) للشخص طوال فترة استخدامه إياه.

.. كما أن نقل تلك المعلومات يتم إما بالتراضي أو ربما بالقرصنة.. مثلما حدث في قضية مهندس الطاقة الذرية المصري محمد سيد صابر الذي تمكن من دس برنامج حاسب آلي على أجهزة الحاسب الخاصة بهيئة الطاقة الذرية.. مما أتاح للمخابرات الإسرائيلية الإطلاع على المعلومات الخاصة بنشاط الهيئة.. وتكشف أسباب الحكم في قضيته[2] عن مفاجآت خطيرة وجرائم عديدة ارتكبها الجاسوس المصرى في حق وطنه حينما اخترق الشفرة السرية التي تنظم عمل المفاعل النووى بأنشاص.. وتدخل في نظام التشغيل بما قد يعرض المفاعل للخطر والانفجار في سبيل الحصول على المعلومات التي طلبها منه الموساد.

وأشارت المحكمة لجزئية هامة جداً.. حيث أكدت أنه لولا الإهمال والتردي داخل تلك الهيئة لما تمكن المتهم من اختراق الشفرة السرية التي هي من أهم وأخطر أسرار المفاعل النووي بأنشاص والإطلاع على ما يدور بأحشاء هيئة الطاقة الذرية بقصد تنفيذ التخابر مع المخابرات الإسرائيلية وتسجيلها على C.D.

وفجرت حيثيات الحكم مفاجأة مثيرة عندما أدلى المتهم محمد سيد صابر باعتراف خطير مؤكداً أن ضابطي الموساد طلبا منه أن ينقل نفسه من هيئة الطاقة الذرية إلي الأمان النووي لأن لهم عملاء داخل هيئة الطاقة الذرية ويفتقدون إلي عميل داخل الأمان النووي..

1- تسعي كافة الدول حالياً على اختلافها توجهاتها لسن تشريعات تجبر الشركات الالكترونية الخادمة للبريد الالكتروني - معظمها أميركية - أن تخزن هذا البريد بين الأفراد أو المؤسسات للعودة إليه عند الحاجة ...
2- القضية نظرتها محكمة أمن الدولة العليا طوارئ برئاسة المستشار محمد رضا شوكت وآثارت رود فعل واسعة .. ونتعرض لها بالتفصيل فى باب نماذج تطبيقية بآخر الكتاب.

وإذا صدق الاتهام الموجه للمهندس المصري.. فإن برنامجاً صغيراً يدخل في أي أجهزة كمبيوتر سواءاً أكان شخصياً أو تابعاً لمؤسسة أو إدارة حكومية.. يستطيع أن ينقل كل ما يحتويه ذلك الكمبيوتر إلي مكان آخر بعيد أو قريب في نفس اللحظة.

مما يعني أنه بالفعل لم يعد أحد يملك أسراراً خاصة به.. مثلما كان الحال فيما مضي.

الإنترنت.. والفضائيات:

ومنذ سبعة عشرسنة فقط عندما بدأت محطة الـ (سي إن إن) الأميركية بثاً تلفزيونياً مباشراً وعلي الهواء من داخل جبهة الحرب بدولة الكويت فيما عُرف بحرب الخليج الثانية.. بدا الأمر للجميع وكأنهم يشاهدون معجزة.. أما الآن وقد امتلأ العالم بآلاف المحطات التلفزيونية الفضائية في سباق للسيطرة الثقافية والاقتصادية.. أصبحت صناعة المعلومات.. ووسائل الاتصال هما صناعتان تضاهيان كل الصناعات الإستراتيجية الأخرى.. ومن ثم أصبحت فيما بعد شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) هي سيد الموقف بتأثيرها اللا متناهي.. وفي واحدٍ من تصريحاته النارية لم يخجل حسن نصر الله زعيم حزب الله في لبنان عندما قال (إننا نحصل على المعلومات في تصنيع بعض الأسلحة والمتفجرات من الانترنت).. وما قاله نصر صحيح مائة.. في المائة.. بل وهو نفس ما يخجل زعماء بعض المنظمات الأخرى.. سواء أكانت ثورية.. أم كمعظم الغالبية منها إرهابية في التصريح به.. ولكنه حقيقة عالمية.. فقد دارت عجلة الزمن لتغير مفهوم التفوق الغربي البحت في مجالي المعلومات.. والإتصالات إلي مشاركة من جميع الدول بما فيها بالطبع دول العالم الثالث.. وقد تكون المشاركة سلبية.. ولكنها علي كال حال تسمي مشاركة.

***

وأمام هذه التطور الرهيب نجد أنفسنا حِيال بعض الاختلافات الجذرية في تناول المفاهيم التعريفية القديمة للـ (الجاسوسية) بشكلها التقليدي.. والتي لم تعد تناسب مستجدات ما أُجمِعَ عالمياً علي تعريفه بأنه عصر ثورة المعلومات.. فلم تعد هناك أسرار يمكن إخفاؤها بشكل مطلق.. ونحن نسمع أو نرى معظم الأحداث تقريباً في وقت وقوعها.. وفي أي مكان من دول العالم.. لكن هنا عقدة القضية ككل.. فالخطأ الشائع أن الجاسوسية هي المعلومة.. يفرض نفسه ليقودنا للتعريف الأهم وهي أن الجاسوسية ليست المعلومة فقط.. فهناك الأهم.. وهو القدرة علي استغلال وتوظيف هذه المعلومة.. وهو ما يقودنا لأهم عناصر اللعبة.. وهو:

حتمية العنصر البشري:

فبالرغم من كل ما ذكرناه يبقي العنصر البشري.. هو الأساس.. فهو الذي يحرك.. ويسيطر علي كل ذلك.. بل ويستطيع أن يوقف تأثيره.. كما مدّ له الحبل.. لأن الأمر ببساطة أن طرف هذا الحبل السري شديد الخطورة يبقي في يد الإنسان الذي صاغ بعقله كل هذا.. ويستطيع بعقله أيضاً أن يمحوه في لحظة.. فلم تعد الجاسوسية تعني في عالم اليوم مثلما كانت تعني فيما مضي وجري توصيفها علي أنها عيون مفتوحة وآذان تسمع خلف الجدران.. بقصد توصيل المعلومة للباحث عنها.. فالمعلومة بسبب ما أشرنا إليه من وسائل الاتصال الحديثة.. أصبحت متوفرة في يد الجميع.. لكن من يستطيع توظيفها لصالحه يبقي هو الأقوى.. والأكثر استفادة.

***

الفصل الأول..

أنواع الجواسيس..

وطُرق اختيارهم!!

العميل المخابراتي هو أولاً وأخيراً تاجر..

بضاعته المعلومات.. يبيعها لمن يُقدِر الثمن.. ويدفع لـه..

لكنه ليس كأي تاجرِ آخر..

فهو تاجر يحمل عمره على يد.. وعلى يده الأخرى كفناً نسجت خيوطه مما يقدمه للآخرين من معلومات..

ويوم يوقع رسمياً وثيقة انضمامه لهذا العالم الخطير.. يوقع معها فى نفس اللحظة شهادة وفاة مؤجلة المراسم.. إلى حين..

وللجواسيس تصنيفات معروفة.. فإما أن يكون الجاسوس ابن البلد ويقوم بالتجسس لصالح دول خارجية مقابل مبالغ مالية يتم الإنفاق عليها..

وإما أن يكون عميلاً أجنبياً تتم زراعته في الدولة المستهدفة..

وآخرهم وأخطرهم في نظر الخبراء السياسيين هوالعميل المزدوج والذي يزود كلا الطرفين بالمعلومات المطلوبة منه مقابل الاستفادة منهم بمردود مادي و خلافه.. و تعنى تسمية " العميل المزدوج " فى عالم المخابرات الكثير.. فهناك فى قمة الهرم المخابراتي يسكن ملوك عالم الجاسوسية.. وهم أولئك الأشخاص الذين تطلق عليهم تلك التسمية.. والتي يحتلون بناءاً عليها صدارة تصنيف العملاء فى هذا العالم المثير.. وكما قلنا سابقاً أن أى شخص يمكن أن يصبح جاسوساً.. لكن بالقياس نفسه لا يصلح أي شخص للعب دور العميل المزدوج.. وتعنى التسمية إن من يحمل هذا اللقب ليس جاسوساً عادياً.. إنما هو عميل فوق العادة ويتطلب إعداده للقيام بمهامه المكلف بها تدريبات ونفقات مادية عالية.. فضلاً عن - وهذا هو الأساس فى الاختيار- امتلاكه الفطري لقدرات خاصة من الإستعداد والذكاء الشخصي والحرص المتناهي حتى يستطيع خداع الأجهزة التي يعمل ضدها.

عملاء المهام الخاصة:

وهناك نوعية أخري من الجواسيس يطلق عليهم تسمية (عملاء المهام الخاصة).. وطبيعة عمل تلك الطائفة كانت وستظل دائماً من أهم مظاهر العمل المخابراتي.. وهي تتعلق بتصفية الخصوم والمعارضين السياسيين لأنظمة الحكم.. سواءاً في الداخل.. أم الخارج.. لكن هذه المهام الحساسة.. تحتاج عملاء من نوعيات خاصة جداً.[1].

الخطوات الأساسية لصناعة الجاسوس:

إذن كما قلنا (العنصر البشري) هو أُس عمل أجهزة المخابرات العالمية.. وهناك ست خطوات أساسية أتفقت معظم أجهزة المخابرات علي اعتبارها هي أسس صناعة الجاسوس.. وهي بالترتيب كالتالي:

1- انتقاء الجاسوس..

2- تقييمه..

3- تجربته..

4- تدريبه..

1- لم يعرف التاريخ نظام حكم سخّر أجهزته المخابراتية لتصفية مناهضيه مثل النظام السوفيتي .. خاصة في أعقاب الحرب العالمية الثانية.. وكأن الهدف الرئيسي الذي من أجله أسس الروس الـ (كي. جي.بي) هو البحث عن هذه العناصر وتحديد أماكنها وجمع المعلومات عنها تمهيداً لاغتيالها.. غير أن تنفيذ عمليات الاغتيال نفسها كان من مسؤولية إدارات داخلية أخري تم إنشاءها خصيصاً لهذا الغرض .. ويذكر لنا تاريخ المخابرات أن عدد «الأهداف» التي تم مطاردتها وتعقبها وتحديد مواقعها بلغ حوالي 36 هدفاً .. من بينهم ضباط جيش عاديين مثل القبطان «شادرين » قائد الطرّاد الذي فرّ من أسطول البلطيق .. ولجأ مع عشيقته إلي السويد طالباً اللجوء السياسي .. وكان من الأهداف أيضا قادة سياسيين وزعماء دول تتولى تحديدهم أجهزة القيادة السوفيتية العليا .. مثل شاه إيران الذي فشلت محاولتان قام بهما الجهاز لاغتياله ..بينما نجحت محاولة اغتيال رئيس الوزراء الأفغاني في قصره عام 1979 في كابول .. ونسبت لنفس الجهاز محاولات اغتيال زعماء بعض الدول في الشرق والغرب (من بينهم بابا الفاتيكان نفسه).

5- تشغيله..

6- قبل أن تأتي المرحلة الأخيرة.. والتي تم وضع عدد من السيناريوهات المناسبة لكل احتمال ممكن الحدوث ووفقاً لـه يتم رسم طريقة إنهاء التعامل مع الجاسوس..

.. ونتحدث عبر الصفحات القادمة عن كل عنصر من تلك العناصر على حِدا.

انتقاء الجاسوس.. وتقييمه؟

هذه الخطوة تقوم على تحديد الأشخاص من النوعية ذات الإستعداد الفطري للتجسس.. ويقوم رجال المخابرات بالاختلاط مع المتواجدين في الدائرة التي يعملون بها أملاً في اكتشاف عملاء محتملين.. ويتم التركيز عادة على المسئولين في الحكومات المحلية.. وأفراد القوات المسلحة.. في البلد المضيف هذا إذا كان نطاق البحث خاص بأحد الأجهزة خارج دولته الأصلية.. ذلك لأن الأشخاص الآخرين اللذين يعملون في مهن أخرى حتى وإن كانوا قابليين للتجنيد لا يطلعون عادة على المعلومات الاستراتيجية عالية المستوى التي تسعى لها أجهزة المخابرات.

الكشافين:

ويعمل معظم هؤلاء الكشافين في السفارات التابعة لدولهم لأن الستار الدبلوماسي يوفر لهم الفرصة المناسبة للوصول إلي أهدافهم بسهولة.. كما يوفر لهم الغطاء الدبلوماسي قدراً كبيراً من الحماية المرجوة.. وحيث تتميز حياتهم بالعديد من الفرص المناسبة للاحتكاك بالعاملين في نفس المجال.. والوصول إلي الأهداف والبعثات الدبلوماسية المماثلة.

وهناك وظائف رسمية.. وأخرى غير رسمية تمنح لعملاء الإستكشاف ليتمكنوا من خلالها أداء المهام الموكلين بها.. كأن يكونوا مثلاً طلاباً بإحدى البعثات التعليمية.. أو مراسلين صحفيين جوالين.. أوحتى رجال دين.

إعداد العنصر المخابراتي (الكشاف):

ولخطـورة مهـام الكشـاف يـتم إعـداده داخـل أروقـة أجهـزة المخـابرات بدقـة شـديدة.. ويـتم انتقـاء المتخصصـين فـي هـذا العمـل ككـل بدقـة أشـد.. يؤكـد (جيفـري ريشيلسـون).. الكاتـب والمـؤرخ الأمريكـي المتخصـص فـي تـاريخ التجسـس.. أن هنـاك فرقـة خاصـة فـي المخـابرات الأمريكيـة تسـمي (SAD) أنشـأت حـديثاً. وتخـتصّ إعـداد العنصـر المخـابراتي بشـكل جيـد.. وبمـا يتناسـب مـع حساسـية الأعمـال المنوطـة بهـم.. وتضـم هـذه الفرقـة 200 ضـابط تـم تقسـيمهم علـى شـكل مجموعات محددة هي:

- مجموعة العمليات الخاصة.

- مجموعة تدريب الأجانب.

- مجموعة الدعاية والعمل السياسي المختصة بمعالجة المعلومات ونشر المعلومات المطلوبة.

- مجموعة الكومبيوتر التي تختص ببناء قاعدة معلوماتية خاصة.

- ثم مجموعة إدارة الممتلكات ويطلق عليها اختصاراً مسمي (PMS) التي تختص بترتيب تأسيس شركات تجارية أو شرائها وإعداد المكاتب التي تمنح غطاءً مناسباً لضباط فرقة (SAD).

ويجري تجنيد هؤلاء الضباط من بين العسكريين الذين تقاعدوا أو استقالوا من الجيش.. أو الذين عملوا خارج الولايات المتحدة في مهام خاصة.

دراسات مسبقة:

ولا يسير الأمر هكذا عشوائياً.. إنما يتلقى الكشاف تعلميات تستند إلي دراسات

يقوم بها خبراء جهاز المخابرات الذي يعمل لصالحه حول نوعية الأشخاص الذين تضمهم الشريحة الاجتماعية والفئوية التي من المفروض أن تكون هي دائرة بحثه.. وتتفاوت شخصية الجاسوس المحتمل بين بلدٍ وبلد.. وبين حالة وحالة.. غير أنه تم تحديد أصناف معينه لأنواع العملاء سريعي التأثر الذين تفضلهم أ جهزة المخابرات.. وهم عادةً ما يكونوا من غير الراضين عن أنظمة الحكم في بلدانهم.. ولا يؤمنون بسياساتها.. فمثل هؤلاء هم أكثر الفئات استعداداً للعمل بإخلاص.. أكثر من الفئة الأخرى التي تحركها دوافع مادية بحتة.. وإن كان من المسلم به أن المال يساعد كثيراً في تجنيد العملاء.. وعلى الأخص في بلدان العالم الثالث حيث الفقر دائماً.. كالماء والهواء لكثير من شرائح تلك المجتمعات.

وا لعملاء الذين يتم تجنيدهم من خلال الشق الثاني.. تتعامل معهم أجهزة المخابرات بحرص شديد.. حيث الخشية من أن يتحول في لحظة إلي هدف بالنسبة لأجهزة مخابرات أخري تستطيع شرائه بالمال.. ويكون في الغالب أقل تأثراً وشعوراً بالذنب.. بينما العميل الذي يكون هدفه عقائدياً (سواء كانت عقيدة دينية.. أم سياسية) يشكل هدفاً مضموناً لجهاز المخابرات الساعي لتجنيده.. فالقضية بالنسبة لـه مبدأ.. وعقيدة.. وهي من الأشياء التي نادراً ما تتبدل في حياة الإنسان.. ولا تباع.. ولا تشتري بالمال.. ويعتبر مثل هذا العميل (الخارج على حكومته داخل بلاده) صيداً ثميناً للعاملين في مختلف أجهزة المخابرات.. كذلك هناك نوعيات أخري دائماً ما تكون تحت المنظار بالنسبة لجميع أجهزة المخابرات.. وهم طائفة المسئولين الذين يعيشون حياة باهظة النفقات ولا يستطيعون المحافظة على مستواها عن طريق دخولهم العادية.. أو أولئك الذين يعانون من نقاط ضعف واضحة لا يستطيعون السيطرة علي أنفسهم حيالها.. ويمكننا أن نحصر ذلك في طائفة الباحثين لحد الإدمان عن المال.. أو المخدرات بكافة أشكالها.. وأنواعها.. ثم أهم.. وأخطر نقاط الضعف.. وهو الجنس[1].. ولا يبحث رجل المخابرات دوماً عن

عملاء محتملين بين اؤلئك الذين يشغلون مناصب ذات أهمية.. ويعتبر الطلاب خاصة في البعثات التعليمية الخارجية هم أهدافاً ذات قيمة عالية.. وعلى الأخص في بلدان العالم الثالث حيث يرتقي خريجو الجامعات مناصب حكومية رفيعة بعد تخرجهم.. وهنا يتم التركيز وتحديد حيز البحث داخل أوساط الجامعات التي يكثر فيها الطلاب الأجانب.. ومن ثمّ التركيز على استقطاب وتجنيد أساتذة الجامعات.

المؤسسات العسكرية:

وتبدي أجهزة المخابرات اهتماماً خاصاً في البحث عن عملاء داخل القوات المسلحة لأن العسكريين هم العنصر المتحكم في هذه البلدان والمسيطر عليها. ومن هنا جاء التركيز على مدارس القوات المسلحة ومعاهد التدريب التي تستقبل الضباط الأجانب في دوارت تدريبية..

تقييم الجاسوس:

بعد انتقاء الجاسوس المحتمل وترشيحه من قبل الكشاف المخابراتي.. يقوم جهاز المخابرات بعمل دراسات دقيقة عنه لتقرير ما إذا كان سيصبح في وضع يستطيع معه تقديم معلومات مفيدة أم لا؟.. والخطوة الأولى في هذه العملية هي البحث والتدقيق في ماضي هذا الشخص بالرجوع إلي أخبار مفصلة في ما لدي الجهاز من معلومات.. فمثلاً كما قلنا من قبل فإن المخابرات المركزية الأمريكية لديها ما يسمي بـ (بنك المعلومات) الذي يتضمن معلومات عن الملايين من الأشخاص في العديد من الدول.. فإذا عُثر على أي معلومات عن العميل المرتقب يتم نقل هذه المعلومات فوراً إلي ضابط الميدان الذي يواصل في غضون ذلك دراسة احتمالات التجنيد.. ويقوم بتحريات خفية لرسم الصورة الحقيقية عن العميل.

تحت المراقبة:

أما المؤكد.. وفي كل أجهزة المخابرات العالمية فإن الشخص المرشح لابد من وضعه تحت المراقبة لمعرفة المزيد عن عاداته وآرائه.. ثم تبدأ دراسة دقيقة لمعرفة الدوافع وراء احتمال قبوله للعمل كجاسوس.. وهل ستكون عقائدية أم نفسية.. أم مادية.. و إذا لم يكن لـه مثل هذا الدافع فأى احتمال بديل سوف يلجأ إليه جهاز المخابرات لإجباره علي قبول التعاون معهم.. والوسائل الأخرى عديدة.. ومتنوعة كالتهديد.. والضغط.. وعلى الضابط المسئول عن العملية أن يقرر مدي صلاحية هذا الشخص.. ثم إمكانية إنقلابه عليهم ليتحول إلي عميل مزدوج.. وعند انتهاء فترة تقييم العميل التي قد تمتد أسابيع.. أو أشهر تقرر الكوادر الرئاسية المباشرة لفريق العمل بالتشاور مع عناصر المراقبة.. والمتابعة الميدانية متي يجب الإتصال مع العميل المرتقب كي يبدأ العمل.. فإذا كان القرار ايجابياً فمن الطبيعي أن يتصل رجل آخر من الجهاز بالهدف.. ولا يتصل به عادة الرجل الذي اكتشفه أو الذي قام بتقييمه.. ويتم ترتيب لقاء بصور مختلفة حسب ظروف كل عملية للإجتماع بالعميل المرتقب.. ويتم التعارف بين الضابط المكلف بتنفيذ العملية مع هدفه وفقاً لظروف يُعد لها إعداداً دقيقاً.. ويتم تأمين المكان.. ومراقبته جيداً.. وعمل أكثر من خطة بديلة تحسباً لأية احتمالات واردة.. بالشكل الذي يسمح لهم بالسيطرة علي الموقف.. وتهريب عنصر التجنيد المباشر في حالة وقوع ما ليس في الحسبان.. وإذا حدث.. وكان العميل المرتقب ينتمي لصفوف المعارضة في بلده فإن عنصر التجنيد غالباً ما يبدأ حديثه بالكلام المعتاد.. والمكرر عن المبادئ التي يجب أن يلتزم بها المواطن نحو وطنه وعن ميول أخرى أيديولوجية ويقترح وسائل يمكن للرجل بها أن يساعد بلاده وشعبه.. أما إذا أتضح أن العميل المرتقب يتميز بالضعف تجاه المال فإن الضابط يلعب على هذا الوتر مؤكداً أنه لديه وسائل متعددة لكسب مبالغ كبيرة من المال بسرعة وبسهولة.. ويدعوه ليشاركه فيها.. أما إذا كان العميل المرتقب

يهتم بالسلطة.. أو كان واقعاً تحت تأثير (الجنس أو المخدرات) أو لديه مشاكل أسرية.. أو أمنية.. ويريد الهروب من بلاده والابتعاد عن عائلته ووضعه الاجتماعي.. فإن عنصرالتجنيد يكون قد أعد من قبل سيناريوهات خاصة بكل حالة.. ينفذها حرفياً من خلال أولي تلك اللقاءات.. التي تكون ذات أثر كبير جداً في خط سير العملية ككل.

وسائل الإخضاع:

ومن مهمة عنصر التجنيد تحديد السبيل الذي من خلاله يتم التأثير في العميل المرتقب.. وإجباره علي الإنضمام إليهم.. وإذا استنتج جهاز المخابرات أن العميل من تلك النوعية التي تخشى التهديد والابتزاز.. يتم رصدو أو التقاط دليل ما يورطه.. والعمل علي إجباره بالعمل لصالحهم ملوحين له بالتهديد باستخدام هذا الدليل ضده.. والتشهير به في حالة رفضه.. وأحياناً يتم تسجيل اللقاء الأول وتصويره وهو يتلقى منهم أموالاً ما.. أو التسجيل له وهو يهاجم نظام الحكم في بلده أما بواسطة أجهزة تسجيل أو باتباع وسيلة أخرى كالتصوير أو التقاط أي شيء من متعلقاته قد يمثل دليل يستعمل ضده في الوقت المناسب.

بعد الموافقة:

وبعد أن يقبل العميل المرتقب العرض المقدم إليه بالعمل لصالح الجهاز سواء بالضغط.. أو الإقتناع.. يخوض عنصر التجنيد في تفصيلات الترتيبات فيعرض عليه راتباً مغرياً يتسلمه عند بداية كل شهر.. يحدد هذا الراتب لكل عميل وفقاً لوضعه الاجتماعي.. وغالباً ما يُدفع له منه جزءاً شهرياً فقط.. والباقي يوضع بإسمه في حساب سري بأية دولة تتمتع بنوكها بخاصية سرية الحسابات [1]؟.. ويعود السبب في ذلك إلي منع العميل من تبذير الأموال بشكل قد يلفت إليه الأنظار.. ومن القصص الشائعة في كتب المخابرات قصة ذلك الجاسوس الذي استطاعت المخابرات الأمريكية في

الخمسينات تجنيده.. وكان يعمل ضابط مخابرات في أوروبا الشرقية وتحديداً في النمسا.. وكان معروفاً عنه كراهيته لنظام الحكم في بلده.. أي أن دافعه للعمل مع الأمريكان كان دافعاً عقائدياً بالأساس.. ومع أنه كان أساساً ضابط مخابرات.. ولديه وعد صريح براتب كبير.. ومكافأة أكبر عند انتهاء العملية التي سيلجأ بعدها إلي الولايات المتحدة.. وامتناع الضابط المسئول عنه عن دفع أية مبالغ مباشرة له في فيينا حتى لا يلفت أنظار الخصوم إليه.. ونظراً لخبرته في هذا المجال قدّر العميل تماماً جدوى هذه الاحتياطات.. لكنه فجأة تجاهل كل هذا وأصرّ علي أن يأخذ مبلغاً من المال كدفعة من حسابه دون أن يبين السبب لذلك.. وخيرهم بين استمراره في العمل.. أو إعطاءه المبلغ الذي طلبه.. وبعد أن تشاور هذا الضابط مع رئيسه المباشر.. ورَفع الأمر للرئاسة تقرر إعطاء العميل المال علي وعدٍ منه بأنه لن يقدم علي عمل طائش ينطوي على خطورة قد تؤدي لكشف أمره.. لكنهم فوجئوا به في نهاية الأسبوع التالي يروح ويغدو في نهر الدانوب في زورق خاص اشتراه بهذا المال.. وبعد بضعة أيام التقي بضابط متابعته الذي نهره وطلب منه التخلص من القارب لأنه لا يمكن لرجل مثله يعيش في ظروف مادية متوسطة أن يشتري مثل هذا القارب من راتبه.. ووافق العميل على ذلك قائلاً أنه كان يحلم منذ أن كان صغيراً بأن يملك قارباً.. أما الآن فقد تبخرّ ذلك الشوق وهو مستعد تماماً للتخلي عن القارب.. لذلك لابد من إحكام القيد على العميل.. حتي لا يثير أية شبهات حول نفسه قد تفسد المهمة من الأساس.

الحماية:

يتعهد عنصر التجنيد للهدف بأن يضمن له جهازه المخابراتي سلامته هو وأفراد أسرته في حالة تعرضه لمشاكل مع الأمن في بلاده.. وحمايته في حالة انكشاف أمره.. وكلما كان الهدف ذو حيثية.. وأهمية خاصة في مجاله وبلده.. كلما كانت تلك الوعود أكبر.. وتحتمل التركيز عليها بشكل أكثر ليس في اللقاء الأول فقط.. ولكن طوال فترة

التجهيز الأولي.. حتي يطمأن الهدف تماماً.. ويحاول عنصر التجنيد حمل العميل الجديد لدى موافقته علي العمل بالتوقيع على أوراق تربطه رسمياً وبوضوح مع جهاز المخابرات.. وهي بمثابة عقد عمل يمكن استعماله في وقت لاحق لتهديد العميل الذي يقوم بفضحه إذا هو توقف عن العمل دون الإتفاق معهم مسبقاً علي ذلك.

المهمة الأخيرة:

والمهمة الأخيرة لعنصر التجنيد الذي ينتهي دوره عند هذا الحد هي تهيئة موعد مناسب للإجتماع بين العميل الجديد ورجل جهاز المخابرات العامل في تلك البلاد الذي سيكون مسئولاً عنه و كثيرا ما ينطوي هذا على إشارات متفق عليها سلفاً ومن الأساليب المتبعة مثلا إعطاء العميل إشارة معينة ليرتديها في مكان ظاهر بملابسه.. ويتم إعلامه بأن رجال يحملون علامة مماثلة سوف يقتربون منه.. أو إعطائه كلمة سر ويقال له أن ضابطه سيتسلمها في وقت لاحق لتعريف نفسه إليه. وحين يتم الإتفاق علي كل هذا يترك عنصر التجنيد المكان ويغادره بأسرع ما يكون.

***

الفصل الثاني:

تجربة الجاسوس..

وتدريبه؟

مهام تجريبية

ومتى تم تجنيد الهدف.. وأصبح عميلاً يبدأ الضابط المسئول عنه اختبار ولائه ومدى الاعتماد عليه.. فيعهد إليه بمهام معينة تعطي لـه.. وفي حالة قدرته علي تنفيذها بالشكل المطلوب تكون بشائر الدلالة على ولائه وإخلاصه قد توفرت.. شكل مبدئي.. كما تعتبر التكليفات الأولي بمثابة قياس للتدليل علي قدراته الخاصة.. وعادة ما تكون تلك التكليفات نتائجها معلومة مسبقاً.. لكن تستخدم في نفس الوقت لقياس مدي مصداقية العميل الجديد.. كأن يُطلب من العميل مثلاً جمع معلومات عن مكانٍ ما لدي الجهاز معلومات مسبقة عنه.. فإن لم تتفق المعلومات التي يأتي بها الهدف مع المعلومات المتوفرة يفسر ذلك بأن العميل إما أن يكون غير كفء في أداء عمله.. أو أنه تحول لعميل مزدوج.. يحاول أن يخدع ضابط متابعته.. ويظل العميل خلال فترة الاختبار تحت مراقبة دقيقة ترصد معها حركاته وسكناته..

الكشف عن الكذب:

اتفقت معظم أجهزة المخابرات العالمية علي ضرورة إخضاع عملاءها.. خاصة في بدايات تشغيلهم.. لجهاز الكشف عن الكذب.. وتبني نظرية عمل هذا الجهاز.. علي تبعية انتظام النبض الطبيعي للإنسان مع حالته العصبية.. بمعني أن التوتر يزيد من معدل ضربات القلب.. وبالتالي من زيادة واضطراب النبض.. والمعروف أن لجوء الإنسان للكذب يؤثر بدرجات مختلفة علي حالته العصبية وبالتالي علي معدل النبض ارتفاعاً.. وانخفاضاً.. علي عكس الصدق الذي لا يؤثر إطلاقاً في ذلك.. ويبدأ الجالس علي جهاز كشف الكذب بتوجيه أسئلة اعتيادية للخاضع للكشف.. مثل اسمه.. واسماء ابناءه.. ووالده.. ووالدته.. وغيرها.. ثم يقيس المنحني البياني لإجاباته التي لا شك في صحتها.. ثم يبدأ الجالس علي الجهاز بتوجيه أسئلته الأخرى التي بناءاً علي تحليلها يتم تحديد مدي صدقه أو كذبه.

مرحلة التدريب

عندما تنتهي عملية اختبار الهدف تبدأ مرحلة تدريب خاصة لإكسابه مهارات معينة تتطلبها طبيعة عمله كجاسوس.. ويختلف نو ع التدريب ومكانه وطبيعته باختلاف ظروف العملية.. ويجب أن يتم التدريب بشكل سري.. ودقيق للغاية.. وهنا تبدأ السمات الخاصة لكل عميل من حيث قدراته ومواهبه.. وثقافته الشخصية في الظهور لتفرض نفسها بالشكل الذي يعبر عن مدي كفاءته.. وتقدمه في برنامجه التدريبي.

وأثناء فترة التدريب يتعرف العميل علي الأجهزة والآلات التي قد يحتاج إليها كأجهزة تصوير لالتقاط صور الوثائق ووسائل الاتصالات السرية والكتابة السرية وغيرها.. ويتم تدريبه علي طريقة استعمال كل منها.. ويقتضي ذلك ضرورة عزل العميل طوال مدة تدريبه التي تتراوح بين عدة أيام وتصل أحياناً إلي شهور.. حسب نوعية المهمة.. والوسائل التي يتم التدريب عليها.. وأولاً.. وأخيراً الكفاءة الشخصية للعميل.. كما يعني ذلك ابتعاد العميل عن أهله ومجتمعه ويطلب إليه في هذه الحالة اختلاق مبررات مقنعة لغيابه هذا.

وتوجد قواعد تدريب خاصة للمجندين الملتزمين بالتواجد في وحداتهم العسكرية.. تكون معزولة عن كل النشاطات الأخرى في معسكرات خاصة.. ويراعي فيها أن تكون الجرعات التدريبية مكثفة.. وتتخلل فترات أجازاته العادية.

وخلال فترة التدريب يجب التأكيد علي أن يلمس العميل الجديد بنفسه.. وبطريق غير مباشر كفاءة جهاز المخابرات الذي يقوم بتدريبه.. وقدرته الفاعلة.. حتي ينمحي تماماً من داخله أية بوادر للتخوف من طبيعة مهمته وحياته الجديدة.. ويقتنع داخلياً بأنه أصبح يعيش حياة أفضل من حياته السابقة.

***

الفصل الثالث:

بداية.. ونهاية كل جاسوس!!

وسائل الإتصال:

هناك طريقتان في العمل السري يمكن تطبيقهما على عمليات التجسس التقليدية وعلى العملاء بوجه عام وهما.. الاتصالات السرية.. والاتصالات المباشرة.. وعلى الضابط المسئول أن يؤمن بنفسه وسائل إتصاله بالعميل.. والحصول منه علي المعلومات التي يتسني له الحصول عليها.. ومتابعته أولاً بأول بالتعليمات والتوجيهات اللازمة.. وهناك العشرات.. والعشرات.. من تلك الوسائل.. تستخدم فيها طرق مختلفة.. ويراعي تغييرها من آنٍ.. لآخر.. للحد من احتمالات كشف العملية.. ولا توجد أنظمة ثابتة.. أو قواعد تتحكم في الاتصال بين الطرفين.. لكن ما دامت الأساليب المستعملة مأمونة وتفي بغايتها فإن للضابط المسئول حرية الابتكار وخلق طرق جديدة في الإتصال بعملائه.

الإتصال المباشر:

في معظم الأحوال يُفضل كثيراً نقل المعلومات بشكل مباشر وشفوي.. من العميل.. إلي الضابط المسئول.. لأن ذلك يعتبر أكثر أماناً وسهولة من نقل هذه المعلومات عن طريق التراسل.. وبواسطة الأوراق الرسمية.. أو استخدام أجهزة تجسس قد تدينهم في حال اكتشاف أمرهم.. ولكن تبقي الوثائق المكتوبة لها الأفضلية لدي أجهزة المخابرات التي تفضل التعامل بها لإمكانية التدقيق فيها.. ومراجعتها من حينٍ.. لآخر.

الإتصال غير المباشر:

ويفضل بعض العملاء ألا يكون اتصالهم بالضابط المسئول اتصالاً شخصياً مباشراً.. لأنهم يرون أن كل لقاء حتي وإن كان سرياً يعرضهم إلي الافتضاح.. وبالتالي إلي السجن أو ما هو أسوء.. ويفضلون الاتصال بأساليب

غير مباشرة أو بوسائل ميكانيكية ولكن أجهزة المخابرات تصر بالمحافظة على اتصالاتها الشخصية بين الضباط وعملائهم.. إلا في الحالات التي تنطوي على خطورة.. ذلك لأنه لابد من تقييم ولاء الجاسوس أولاً.. بأول.. وقياس مدى تقدمه في العمل ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بواسطة تلك الإجتماعات التي تعقد بين حين.. وآخر.

وسائل التأمين:

وقد يكون اللقاء المباشر في مواصلات عمومية داخلية.. مثل الباصات.. وغيرها أو منتزه.. أو مطعم.. حيث يقوم رجال مخابرات آخرين بمراقبة المكان جيداً كإجراءات وقائية ضد الخصوم الذين يحاولون التقاط المحادثة.. أو رصدها ويعرف هذا الأسلوب في عالم التجسس (بالمراقبة المضادة).. ويمكن للضابط أو العميل أو أي فرد من فريق المراقبة الإشارة على الآخرين بالمضي قُدماً في الاجتماع أو تفادي كل اتصال أو إلغاء الاجتماع.. كل ذلك عن طريق إشارات خاصة متفق عليها مسبقاً.. وقد تستخدم أجهزة المخابرات من بعض الشقق.. والبيوت وغيرها أماكن خاصة للإجتماعات.. وفي كثير من الأحيان تكون هذه الأماكن تجارية.. كمقار الشركات.. وعيادات الأطباء.. وغيرها ممن لا يلفت أنظار أحد تردد الآخرين عليها.. وفي واقعة ذهاب أشرف مروان لعرض نفسه علي الموساد في الستينيات من القرن الماضى دليل نموذجي علي ذلك.. حيث ذكر الكاتب الأمريكي الشهير هوارد بلوم (فى كتابه عشية الدمار). أن أشرف ذهب إلى العاصمة البريطانية للعلاج من آلام فى المعدة تعتريه من آن لآخر.. واصطحب معه مظروفاً كبيراً فيه بعض الأشعات والتحاليل كان قد أجراها فى القاهرة.. وحجز لدى أحد الأطباء المشهورين فى علاج أمراض المعدة والجهاز الطبى.. وعندما دخل أشرف حجرة الكشف ناول الطبيب

المظـروف الـذى كـان يحملـه.. فـتح الطبيـب المظـروف وتغيـرت سـريعاً معـالم وجهـه.. ثـم أغلـق المظـروف ثانيـة ووضـعه بكـل هـدوء علـى المكتـب مـن ناحيـة أشـرف وهـو يقـول لأشـرف أنـه قـد أعطـاه مظروفـاً آخـر غيـر المقصـود.. فابتسـم أشـرف وقـال لـه لا خطـأ فيمـا حـدث.. فقـط عليـك أن توصـل هـذا المظـروف بطريقتـك الخاصـة إلـى السـفارة الإسـرائيلية.. ابتسـم الطبيـب ببـرود شـديد معتـذراً أنـه لايعـرف أحـداً بالسـفارة الإسـرائيلية.. تجاهـل أشـرف مـا فعلـه.. ومـا قالـه الطبيب.. وفاجـأه بقولـه أنـه علـى علـم تـام بعملـه مـع السـفارة بـدليل زيـارة شخصـية عربيـة كبيـرة لـه الأسـبوع الماضـى فـى نفـس العيـادة ولقـاءه مـع (يـاكوف هيرتـزوج) مـدير مكتـب رئيسـة الـوزراء الإسـرائيلية.. أسـقط فـى يـد الطبيـب ولـم يسـتطع الـرد.. تركـه أشـرف وتـرك لـه المظـروف الـذى كـان يحملـه وذهـب إلـى حـال سـبيله بعد أن قـام الطبيـب بالكشـف عليـه وكتـب لـه روشـتة بهـا بعـض الأدويـة عملاً بنصيحة أشرف حتى يبدو الأمر عادياً ولا يشك أحد.

وكـل اجتمـاع بـين الضـابط المسـئول وعميلـه الخـاص.. تنظـر إليـه أجهـزة المخـابرات باعتبـاره موطنـاً شـديداً للخطـورة.. خاصـة مـا قـد يترتـب عليـه مـن تعـرض أطـراف اللقـاء لخطـر الملاحقـة مـن جانـب قـوى الأمـن المحليـة.. أو أجهـزة مخـابرات معاديـة.. ولتجنـب هـذه المخـاطر تسـتخدم وسـائل غيـر مباشـرة للإتصـال.. والإعـداد للقـاء.. وتأمينـه.. وخاصـة عنـد تسـليم المعلومـات.. أو تبادلهـا بـين طرفـي اللقـاء.. مـن العميـل إلـي الضـابط المسـئول.. أو العكـس.. وأحيانـاً يـتم اللجـوء لاسـتخدام شـخص ثالـث يعمـل كوسـيط بـين الطـرفين.. وقـد يكـون هـذا الشـخص علـي علـمٍ بـالأمر أو يـتم اسـتخدامه دون أن يعلـم.. ويقتصـر الأمـر علـى أن يقـوم العميـل بوضـع مـادة المعلومـات فـي صـندوق للبريـد فـي موعـد سـبق ترتيبـه مـن جانـب الضـابط المسـئول أو الشـخص الثالـث الـذي يسـتخدم لهـذه الغايـة.. ومـن

بين الأماكن التي تستخدم لذلك صناديق البريد.. أو الفراغ القائم وراء بعض كبائن التليفونات العمومية.. وغيرها.

وهناك أسلوب شائع.. ويستعمل كثيراً.. وهو أسلوب الاحتكاك بالصدفة.. إذ يلتقي بموجبه العميل أو الشخص الثالث بالضابط المسئول أو الشخص الثالث الذي يستخدم لهذه لغاية.. مثل الطريقة التي تم بها اقتياد أشرف مروان للقاء ضابط الموساد الذي تم تكليفه بلقاءه لبدء التعاون بينهما بعد ذهابه لعيادة الطبيب بالشكل المشار إليه سابقاً.. وكان ذلك في لندن.. فعندما كان أشرف يتسوق بعض المشتريات من محلات (هاردوز) ذات يوم اصطدم به أحد الزوار وأخذ يعتذر له وهو يساعده في التقاط ما وقع من يديه على الأرض بينما يخبر أشرف فى نفس الوقت بأنه عليه مغادرة المكان فوراً والذهاب إلى محطة المترو القريبة من المكان ليركب ويتوجه إلى المتحف البريطاني ليقطع تذكرة لدخول غرفة الإطلاع الرئيسية بالمتحف فهناك من ينتظره لأمرٍ هام.. فهم أشرف الرسالة وغادر مسرعاً المحل وبينما هو فى طريقه إلى محطة المترو فوجئ بمن يحيط به ويدفعه بسرعة إلى إحدى السيارات التي كانت واقفة تنتظر بالقرب من المكان.. كان الرجل من الموساد بالطبع.. وأصطحب أشرف إلى مكانٍ ما تابعاً لهم حيث خضع بالتأكيد للعديد من الاختبارات قبل أن يبدأ مشواره معهم [1].

وبعد ثورة الاتصالات بكل وسائلها.. وانتشار.. وتوسع استخدامات شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) تيسر تماماً سبل الإتصال بين العملاء.. وضباط متابعتهم دون أدني خطورة علي حياتهم ما أتبع في ذلك الإحتياطات اللازمة من استخدامات رمزية.. وشفرات مخصصة.. بحيث لا يفهمها إلا المتعاملون

1- راجع التفاصيل كاملة في كتاب (من قتل أشرف مروان) للمؤلف.

بها فقط.. لأن للأمر أيضاً خطورته في حال اختراق قراصنة الكمبيوتر للبريد.. أو المواقع الإلكترونية التي يتم التراسل بواسطتها.

الإختراق:

وهناك علي سبيل المثال اتجاه جديد داخل أجهزة المخابرات العالمية يقضي باتباع نظام مخابراتي جديد تماماً يقضي بعمل محاكاة دقيقة وحرفية لنظم عمل الجماعات الإسلامية الجهادية [1].. كأن يقيم جهاز المخابرات جمعيات ومنظمات فعلية قائمة بعضها يتم تفعيله.. وممارسة نشاطه داخل العديد من الدول.. وتحت مظلة الإسلام.. وباسم التضامن الإجتماعي والعمل علي نشر البر والتقوى يتم جمع التبرعات والهبات.. وكل هذه المؤسسات تتجمع داخلها وحدات وفرق من أعداد صغيرة من ضباط المخابرات.. يتحدث أعضاؤها اللغات المحلية ويمارسون شعائر الدين الإسلامي وتتوفر في كل منهم حماسة وإيمان بالمهمة المكلف بها تماماً كحماس أعضاء الجماعات الإسلامية الجهادية.. وينتهي نظام العمل بضباط مخابرات متنكرين كرجال أعمال أو صحفيين أو رجال دين.. ومعظم العاملين في هذه المؤسسات من الضباط الصغار الذين يسعون نحو المغامرة والمخاطرة بحياتهم في سبيل إثبات وجودهم.. وهم يرتدون ثياباً إسلامية ويمارسون شعائر المسلمين ويذوبون في المجتمعات الإسلامية والعربية.

وعلي نفس الدرب.. وبنفس الطريقة يتم إنشاء ما يعرف بمنظمات حقوق الإنسان.. والعمل الإجتماعي.. وهذا يقودنا بدوره إلي نقطة هامة جداً في

1- مثل تنظيم القاعدة .. وحزب الله في لبنان .. وغيرها من باقي الأنظمة القائمة علي تيارات دينية بحتة .

ترتيب وتسيير العمل المخابراتي وهو ظاهرة التمويل الأجنبي.. التي تنتشر في معظم دول العالم الثالث.

التمويل الخارجي:

ولنأخذ علي ذلك مثال حدث مؤخراً.. فقد أذاعت إحدي محطات التلفزيون الروسية شريطاً تم تصويره بكاميرا خفية يصور دبلوماسي بريطاني ينقب في الأحراش عن شيء مجهول حتي أمسك بيديه شيئاً ما كان يبدو أنه ذهب لإلتقاطه من هذا المكان المعلوم له مسبقاً.. وبعد القبض عليه تبين أن ما التقطه هو قرص رقمي صلب [1] يحوى معلومات استخباراتية.. كما قالت السلطات الروسية في تعليقها علي الشريط.. إلا انه في نهاية المطاف ظهر أن الدبلوماسي البريطاني كان يتعامل مع منظمات خاصة في المجتمع المدني الروسي.. مما حدا بالحكومة الروسية بعد ذلك أن تحظر علي جماعات المجتمع المدني الاتصال بجهات أجنبية أياً كانت.. وقبول التمويل من الخارج.. وهو أمر كان قد تقرر في بعض البلاد العربية.. ودارت محاكمات واتهامات في علاقة البحوث الممولة من الخارج و(الجاسوسية) بمعناها التقليدي [2].

الإعلانات المستمرة عن العروض السخية التي تقدر بالملايين للبحث عن قيادات إسلامية ماهي إلا احدي الوسائل الحديثة للتجنيد في أجهزة المخابرات العالمية

1- هو ما يدخل في مكونات أجهزة الكمبيوتر ويعرف باسم (الهارد دسك) ..

2- مثل قصة الدكتور سعد الدين إبراهيم أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأمريكية في مصر.. وتلقيه معونات من الحكومة الأمريكية تصل لملايين الدولارات .. وكان الإفراج عنه من محبسه في يومٍ من الأيام أحد أهم الشروط التي وضعتها الإدارة الأمريكية لاستمرار دفع المعونة السنوية لمصر.

العلاقة بين العميل ومتابعيه:

وهـي مـن أهـم نقـاط سـير عمليـة التجنيد بالكامـل.. تتوقـف المعاملـة علـى قـوة العلاقـة التـي يسـتطيع الضـابط المسـئول إقامتهـا مـع العميـل.. يقـول رجـل استخبارات سـابق فـي أحـد أجهـزة المخـابرات أن علـى الضـابط المسئول أن يجمـع بـين مـؤهلات الجاسـوس الكامـل وطبيـب الأمـراض العقليـة وكـاهن الاعتـراف.. وهنـاك مدرسـتان شـائعتان تتحـدثان عـن كيفيـة سـير العلاقـة.. فمـثلاً تعتمـد المخـابرات المركزيـة الأمريكيـة علـي إتبـاع مـنهج تواصـلي خـاص يحـتم علـى الضـابط المسـئول إقامـة علاقـة شخصـية وقويـة مـع العميـل ويقنعـه بأنهمـا يعمـلان معـاً كأصـدقاء لتحقيـق هـدف سياسـي واحـد.. ومهـم.. ويـوفر مثـل هـذا الأسـلوب قـوة دافعـة قويـة تشـجع العميـل علـى ركـوب المخـاطر فـي سـبيل صـديقه.. لكـن هـذه الطريقـة قـد تنطـوي علـى خطـر قيـام ارتبـاط معنـوي.. ونفسـي بـين الضـابط وعميلـه قـد تتسـبب فـي بعـض الأحيـان فـي فقـدان الطـرفين للموضـعية المطلوبـة لإنجـاز مهامهم علي النحو الأفضل.

أمـا وجهـة النظـر الثانيـة فتنـادي بـأن علـى الضـابط المسـئول فـي الوقـت الـذي يتظـاهر فيـه بالاهتمـام الشخصـي بالعميـل أن يعاملـه معاملـة تتسـم بالجديـة والبعـد عـن المظـاهر العاطفيـة أو التسـاهل حيـث أنـه علـي الضـابط المسـئول ألا يهـتم سـوي بالنتـائج التـي يحققهـا عميلـه فقـط.. وعليـه أن يـدفع بالعميـل إلـي أقصـى درجـات العمـل الـدؤوب للحصـول مـن خلالـه علـى أقصـى مـا يمكـن مـن معلومـات.. علـى أن لهـذا الأسـلوب أيضـاً عيوبـه.. ذلـك لأنـه مـا أن يـدرك العميـل أنـه موضـع اسـتغلال من ضابطه حتى تتقلص همته بسرعة.

إن المخـاطر وجـو التـوتر اللـذان تحتمهمـا ظـروف هـذا العمـل الإسـتثنائية تلقـي بظلالهـا علـي العمـلاء فيصـبحوا دومـاً فـي حالـة مزاجيـة متقلبـة.. ويصـعب الـتكهن

بمـا يـدور فـي خلـدهم.. لـذا فإنـه علـى الضـابط المسـئول أن يكـون واعيـاً لأي دلائـل تشـير لتغيـر موقـف العميـل.. أو تهاونـه فـي عملـه.. وعليـه أن يجمـع فـي أسـلوب تعامله مع عميله بين الترغيب.. والترهيب.

تغيير ضابط المتابعة:

وثمة مشكلة كبيرة في معاملة العميل تنجم عن تغيير الضابط المسئول عن متابعته.. ووفقـاً لسياسـة جهـاز المخـابرات المركزيـة الأمريكيـة التـي تقضـي باسـتخدام السـتار الدبلوماسـي والرسـمي لمعظـم رجالهـا العـاملين فـي الخـارج أن ينقـل الضـباط المسـؤلين المتعايشين في تلك الدول علي أنهم دبلوماسيين إلي بلاد أخري.. أو عودتهم إلـي رئاسـة المخابرات في واشنطن بغرض التدريب علي مستجدات.. وتقنيات مخابراتية جديدة من آنٍ.. لآخر.

ويقوم الضابط المنقول بتعريف الضابط الذي سيخلفه إلي جميع عملائه قبل سفره.. ولكن العملاء يترددون حينذاك في العمل مع رجل جديد.. ذلك لأنهم لا يميلون بعد أن أقاموا علاقات مقبولة مع ضباطهم إلي التحول عنهم إلي آخرين.. ويزداد هذا التردد في كثير من الأحيان بسبب تعيين جهاز المخابرات ضباطاً صغار السن لإدارة عملاء قدامى أصبحوا مخضرمين.. فمعظـم العمـلاء يشـعرون بـأن التعامـل مـع ضـابط تنقصـه الخبـرة يزيد في احتمالات فشل العملية.. وقد يؤدي ذلك لاكتشاف أمرهم.. وحدوث مـا لا تحمـد عقباه.. وفي حالة قبول العميـل الاسـتمرار مـع الضـابط الجديد عـادةً يكون المستفيد هو الضابط.. حيث يتمكن بطريق غير مباشر من اكتساب الخبرة اللازمة بسرعة من عملاء لا يحتاجون إلي توجيه.. أما في حالة رفض العميل الاستمرار فـي العمل فتنجم مشكلة كبيـرة.. إمـا بإخضـاع العميل عنـوةً للاستمرار عـن طريـق تهديـده بكشـف العمليـة.. أو تصفيته (في حالات قليلة).. أو الموافقة علي إنهاء العملية إذا ما سمحت الظروف بذلك.. وكان قد تلاشي الهدف الأساسي من قيامها.

ولهذا فإن عملية تغيير الضابط المسئول يمكن أن تكون معضلة ولكنها في الغالب لا تؤدي إلي الإضرار بالعملية نفسها.. وأحياناً تتراجع أجهزة المخابرات اضطرارياً.. وفي حالات معينة خاصة في العمليات الحساسة عن مسألة تغيير الضابط المسئول عنها استجابة لرغبة العميل نفسه.. ولكن ليس في حالة أي عميل.. فقط العملاء الذين يتمتعون بمكانه عالية.

إنهاء التعامل مع الجاسوس!!

كل ماله بداية.. لابد أن تكون له نهاية.. وعلي هذا فلا بد لكل عملية مخابراتية من نهاية تتناسب مع مسارها الكلي.. إما أن يضمها ملف في قسم العمليات الناجحة في أرشيف الأجهزة المخابراتية.. أو ينضم ملفها إلي قسم آخر.. قد يكون خاص بالعمليات التي كان نصيبها الفشل لاعتقال العميل.. أو سجنه.. أو حتي إعدامه في حالة اكتشاف أمره.. ومحاكمته.. أو عدم اكتمال العملية لموت العميل بصورة مفاجئة.. لأسباب قد تكون طبيعية أو نتيجة لحادثٍ ما.. أو ما إلي خلافه..

وفي حالة اكتشاف أمر العميل.. والقبض عليه ينصب اهتمام أجهزة المخابرات العامل لديها علي إنكار كل علاقة لهم بالعميل.. حماية لمصالح دولهم.

التخلص من العميل:

تضطر أحياناً أجهزة المخابرات إلي إنهاء العملية بنفسها.. والتخلص من العميل. وقرار إنهاء أية عملية تتخذه فقط المستويات العليا في أجهزة المخابرات لأسباب متباينة.. قد يكون من بينها فشل العميل في الوصول إلي المعلومات التي يريدها الجهاز.. أوعدم توافر الحد الأدنى من الثقة في تصرفات وشخص العميل.. مما يهدد العملية بالفشل.. أو يؤدي بطريق غير مباشر إلي فضح.. وكشف عمليات أخري أهم.. وهناك سبب آخر ربما هو أهم الأسباب التي دائماً ما تخشاها أجهزة المخابرات وهو تحول العميل إلي عميل مزدوج. وفي حالة اتخاذ قرار إنهاء العملية دون تصفية العميل يتم شراء سكوته بالمال.. وإذا اقتضت الضرورة يتم إسكاته عن طريق التهديد.

***

الفصل الرابع: نماذج تطبيقية من حياة أشهر الجواسيس!!

في هذا الفصل نحاول التدليل علي ما سبق ذكره من خطوات صناعة الجواسيس التي تتبعها معظم أجهزة المخابرات في العالم.. وذلك من خلال قراءتنا لبعض أشهر قصص الجاسوسية في عالمنا العربي.. والعالم ككل.. وتحليلها في ضوء سير أحداثها..

(كالوجين)..
وسياسة تجنيد طلاب البعثات الدراسية؟!

إذا تحدثنا عن تجنيد طلاب البعثات.. لا بد أن نتوقف عند واحدة من أشهر تلك العمليات المخابراتية التي تم فيها الاختراق عن طريق تجنيد أحد الطلاب.. وصاحب هذه العملية هو واحد من أشهر عملاء المخابرات الروسية.. بل والعالمية.. ونتوقف عند قصته لنري من خلالها كيفية التطبيق العملي لصناعة الجاسوس.. العميل كان روسي الجنسية يدعي (كالوجين) وبدأت علاقته بالعمل الإستخباري عام 1958.. حين جندته المخابرات السوفيتية وهو بعد شاب في الرابعة والعشرين من عمره.. وزرعته ضمن بعثات طلاب برنامج التبادل الثقافي مع الولايات المتحدة.. والتي يطلق عليها إسم السيناتور الأمريكي الراحل (ويليام فولبرايت) صاحب فكرة إنشائها.

بعد عودته لبلاده صعد نجمه في أجهزة المخابرات حتى أصبح مديرًا لإدارة مكافحة الجاسوسية بقطاع العمليات الخارجية برتبة لواء.. ولعب دوراً مركزياً في تنظيم وإدارة شبكة التجسس التي عرفت باسم العميل (جون ووكر).. حتى انتهت خدمته بالإقالة عام 1990 لإصراره على المطالبة بإصلاح وتطوير أساليب عمل الأجهزة.. وانُتخب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي نائباً في البرلمان الروسي لفترة قصيرة.. وقد سجل قصته في برنامج تلفزيوني تناول فيه بعض جوانب صراع الجاسوسية خلال الحرب الباردة.

وكشف من خلاله النقاب عن العديد من الأسرار لم يتطرق إليها أي فرد من قبل.

ويقول أن التحاقه بالعمل السري جاء بمبادرة شخصية منه رغم اعتراض والده الذي كان ضابطاً سابقاً بجهاز الـ (k. G. B) وأوضح أن قراره ذلك كان

نتيجة الإيمان بالنظام الشيوعي والقيم التي يمثلها (إذن كان دافعه الأول عقائدياً) وكان علي إيمان مطلق بأن العمل في أجهزة المخابرات السوفيتية شرف عظيم لأي شاب يحب وطنه ويسعى إلي خدمته.

اختراق المجتمع الأمريكي:

وتم تكليفه بثلاث مهام محددة داخل الولايات المتحدة.. كانت أولاهاعام 1958 حين التحق بجامعة (كولومبيا) لدراسة الصحافة.. وكانت طبيعة المهمة استطلاعية في الأساس.. للتعرف على أساليب الحياة الأمريكية.. وإنشاء أكبر عدد ممكن من الصداقات والعلاقات.. وتهيئة الظروف والبيئة المناسبة للعمل الحقيقي مستقبلاً.

ثم كانت المهمة المخابراتية الثانية في الفترة بين عامي (1960 - 1964).. تحت غطاء وظيفته الجديدة كمراسل لراديو موسكو في الولايات المتحدة والأمم المتحدة.. وقام خلالها بجمع المعلومات وتجنيد العملاء.. خاصة من الشباب العاطفي المتحمس مثله.. حيث لم يكن وقتها قد تجاوز الثلاثين من عمره.. (عَمِلَّ أيضاً ككشاف).

المهمة الأخيرة:

وبعد ذلك كانت مهمته الثالثة والأخيرة.. والأكثر نجاحاً في العاصمة (واشنطن) عام (1970 - 1965).. حيث عين نائباً ثم مديراً لإدارة المخابرات السياسية.. وكان يمكن أن تمتد مهمته هذه لسنوات أخرى لولا انكشاف نشاطه المخابراتي بواسطة الصحفي الأمريكي المعروف جاك أندرسون.. ويمضي الجاسوس القديم قائلا: كان غطائه في هذه المهمة.. أو عملي الرسمي الظاهر.. هو وظيفة السكرتير الصحفي للسفارة السوفيتية.. ثم مسئول العلاقات العامة

بهـا.. وقـد نجـح خـلال هـذه السـنوات الخمـس فـي زرع وتجنيدعشـرات مـن العمـلاء الأمـريكيين والأوروبيـين فـي المحافـل الصـحفية والسياسـية للعاصـمة الأمريكيـة.. ونجـح أيضـاً فـي اكتسـاب ثقـتهم واحتـرامهم ببياناتـه الصـحفية المتقنـة.. ومعلوماتـه الدقيقـة.. رغـم أنهـا لـم تكـن أبـداً كـذلك بـالمعني الحرفـي للكلمـة. كمـا شـهدت هـذه الفتـرة أيضـا نجاحـه فـي تأسـيس وإدارة العديـد مـن شـبكات التجسـس الناجحـة.. ومنهـا عمليـة الجاسـوس المعـروف إعلاميـاً باسـم (جـون ووكـر) والـذي نجـح فـي تجنيـده.. واسـتمر يمـد الجانـب السـوفيتي بمعلومـات عـن المؤسسـات الأمريكيـة التـي عمـل بهـا قرابـة ثمانيـة عشـر عامـاً كاملـة.. فـي الفتـرة مـا بـين عـامي (1967 و1985) بالإضـافة إلـي شـبكات أخـرى اخترقـت العديـد مـن السـفارات الغربيـة فـي العاصـمة الأمريكيـة.. والمجتمـع الصـحفي و الأكـاديمي.. إلـي جانـب القـوات المسـلحة ووزارة الـدفاع بـالطبع.. وكانـت مهمتـه الأساسـية تتعلـق بتـوفير الإنـذار المبكـر للقيـادة السـوفيتية قبـل حـدوث أيـة أزمـات عسـكرية محتملـة.. وكـان ذلـك ترجمـة للمخـاوف المرضـية التـي احتلـت عقـول وقلـوب القـادة السـوفيت مـن احتمـال تعـرض بلادهـم للهجـوم مـن الغـرب.. ولـذلك خصصـت لهـذا الأجهـزة كـل الموارد والإمكانيات المطلوبة لأداء مهامها..

غيـر أن الوجـه الآخـر لهـذه المهمـة المـوازي والمكمـل لهـا.. والـذي ربمـا كـان هـو الأكثـر أهميـة.. فكـان يتمثـل فـي العمـل المـنظم والمخطـط للوقيعـة وزرع بـذور الشـقاق بـين الحلفـاء الغـربيين.. والعمـل علـي إضـعاف تلـك المجتمعـات الغربيـة ومنظماتهـا السياسـية والعسـكرية.. خاصـة دول حلـف النـاتو.. وإضـعاف المركـز الأدبـي والثقـة التـي تحظـى بهـا الولايـات المتحـدة فـي كـل دول وقـارات العـالم.. وجعلهـا هـدفاً تتجـه إليـه الشـكوك والغضـب والمشـاعر العدائيـة لهـذه الشـعوب فـي حالة نشوب الحرب.

ولفجانج لوتز:

عـام 1965 ألقـت السـلطات المصـرية القـبض علـى فولفجـانج لـوتز الـذي كـان قـد وصـل مصـر عـام 1960 وبـدأ فـي مصـادقة كبـار المسـئولين المصـريين وتمكـن مــن زيــارة مواقــع إطــلاق الصــواريخ المصــرية وجمــع معلومــات ســرية عــن الصــناعات العسـكرية المصــرية. وبمجــرد القــبض عليــه.. اعتــرف بالتجســس لصـالح إسـرائيل وتمسـك بجنسـيته كمـواطن ألمـاني وهـو مـا سـمح لــه بمحـامي ألمـاني ومراقـب مـن السـفارة.. وحكـم عليـه بالسـجن مـدى الحيـاة وأفـرج عنـه عـام 1968 بموجب صفقة لتبادل الأسرى.

وكـان " ولفجـانج لـوتز" قـد ولـد فـي ألمانيـا عـام 1921 لأسـرة يهوديـة.. والـده كـان مخرجـا مسـرحيا.. ووالدتـه ممثلـة.. وفـي عـام 1931 انفصـل والـداه.. وعـام 1933 عشـية صـعود هتلـر إلـى السـلطة فـي ألمانيـا هـاجرت والدتـه إلـى فلسـطين وأخـذت معهـا ابنهـا وعملـت هنـاك فـي مسـرح بتـل أبيـب.. فـي حـين التحـق ولفجـانج بمدرسـة "بـين شـمين " الاسـتيطانية وغيـر اسـمه إلـى " زائيـف جـورا " [1].. ومـع مـرور الوقـت أصـبح خبيـراً فـي ركـوب الخيـل وبعـد عـدة سـنوات قبـل أن يـتم عامـه الخـامس عشـر انضـم إلـى منظمـة الهجانـا الأمنيـة الاسـتخبارية.. وكانـت مـن بـين مهامـه حراسـة الحـافلات المدرعـة التـي تحمـل مـا تحتاجـه مدرسـة بـين شـمين التـي كـان يحـيط بهـا العديـد مـن القـرى والمـدن الفلسـطينية الرافضـة للوجـود الصـهيوني في أرض فلسطين.

وفـي عـام 1939 انـدلعت الحـرب العالميـة الثانيـة وبمـا أن لـوتز كـان يتحـدث الألمانيـــة والإنجليزيـــة ببراعـــة إضـــافة إلـــى العبريـــة والعربيـــة رأت القـــوات

---

1 - زائيف هو الاسم العبري لاسم ولف .. والإسمان بمعنى الذئب

الإنجليزية أنه سيكون عوناً كبيراً لها وتم تجنيده وأرسل إلى مصر وظل هناك طيلة فترة الحرب وكانت مهامه الأساسية تتضمن التحقيق مع أسرى الحرب الألمان هناك حيث كانت مهارته في استخدام اللغة الألمانية عوناً كبيراً له.

حملة السويس:

عقب الحرب عاد إلى فلسطين وشارك في عمليات تهريب الأسلحة لمنظمة الهجانا وعندما أعلن قيام دولة إسرائيل في مايو 1948 خدم لوتز كملازم أول في قوات الدفاع الإسرائيلية ولعب أدواراً مختلفة في تنفيذ أكثر العمليات وحشية في الأراضي الفلسطينية.. وبقي في الجيش بعد الحرب وفي عام 1956 رقي إلى رتبة لواء وقاد عملية إسرائيلية ضد القوات المصرية في سيناء في عملية أطلق عليها في إسرائيل اسم (حملة السويس).

ومع بداية عام 1957 اتخذ القرار بإرساله إلى مصر حتى يمكنه جمع معلومات استخبارية عن المساعدات السوفييتية التي تقدم لعبد الناصر.. ولمصر.

في نوفمبر 1959 أرسل إلى ألمانيا بعد عام من تنقله من مكان إلى مكان حتى يصعب اقتفاء خطواته ثم أرسل مرة أخرى إلى مصر ووصل هناك في ديسمبر1960 وسرعان ما تمكن من إقامة العديد من الاتصالات المهمة حيث ذهب إلى نوادي الفروسية التي كانت مكان تجمع أهم القيادات العسكرية المصرية وترددت الأخبار عن الثري الألماني الذي تغلغل بين أبناء الطبقة الأرستقراطية المصرية وخلال أيام كان لوتز يتلقى الكثير من الدعوات لحفلات عشاء في أهم البيوت المصرية وكان الأثرياء الذين يستثمرون أموالهم في تربية الجياد يطلبون منه المشورة وسرعان ما قرر لوتز أن يظهر سخاءه حيث

اشترى جياداً كثيرة ووضعها في ناد للفروسية.

واستأجر فيلا في منطقة مصر الجديدة وتظاهر بأنه من هواة تربية الخيول العربية وبهذا تمكن من الانضمام لعضوية نادي الفروسية في الجزيرة ومن خلال النادي تمكن من عقد المزيد من الصداقات مع هواة تربية الخيول من المصريين والأجانب.

وبعد ستة أشهر عاد إلى أوروبا وقدم تقاريره إلى قيادات الموساد الذين أعلنوا رضاهم التام عن سير عمله ووصفوه بأنه " عين تل أبيب في القاهرة ".

وفي صيف عام 1962 عاد لوتز وزوجته إلى مصر وخلال الفترة التي قضاها مع زوجته في القاهرة تمكن من إقامة العديد من الحفلات وأنشأ من خلالها العديد من العلاقات البارزة دخل المجتمع المصري حيث أقام علاقات صداقة مع شخصيات بارزة في كل المواقع بمصر كما تمكن لوتز من إقامة العديد من الصداقات مع الخبراء الألمان الذين كانوا يعيشون في القاهرة وأصبح صديقاً شخصياً للعديد منهم مثل جرهارد بوش الذي يعتقد أنه كان يتجسس على الحكومة المصرية لصالح عاصمة ألمانيا الغربية بون إضافة إلى أنه تلقى قائمة بأسماء جميع العلماء الألمان في القاهرة وعناوينهم وتمكن من الحصول على تفاصيل دقيقة عن دور كل منهم في مصانع الإنتاج الحربي المصرية.

وفي تلك الفترة نجحت مهمته في معرفة كل ما يمكن معرفته عن الصواريخ الروسية (سام) وموقع بناء قواعدها بالقرب من قناة السويس في مدينة الإسماعيلية.. وكان يستخدم جهاز إرسال لاسلكي صغير يخفيه في حمامه الشخصي.. وأرسل من خلاله رسائل سرية إلى الموساد طيلة خمس سنوات

عن المعلومات السرية العسكرية المصرية وبرنامج الصواريخ المصرية.

في بداية الستينات كان رئيس الموساد وقتها "إيسير هاريل" شديد القلق من خطر العلماء الألمان الذين يعملون مع نظرائهم المصريين لتطوير برنامج الصواريخ حيث كان هناك خوف كبير من قدرة تلك الصواريخ على الوصول إلى المدن الإسرائيلية خاصة بعد قيام مصر بإحدى تجارب الإطلاق التي نجحت نجاحاً كبيرا أثار مخاوف الموساد الذى تعامل مع الأمر على أنه يشكل تهديداً حقيقياً على أمن إسرائيل.

وظل لوتز يعمل بشكل جيد في القاهرة لعدد من السنوات إلى أن حدثت تغيرات في السياسة الخارجية المصرية في خريف عام 1964 حيث كانت مصر تعتمد على المساعدات العسكرية السوفييتية منذ منتصف الخمسينات.. وحاول الروس استخدام تلك المساعدات في الضغط على عبد الناصر لدعوة رئيس ألمانيا الشرقية "والتر البري" تش لزيارة القاهرة.. واعترضت وقتها حكومة ألمانيا الغربية ولكن عبد الناصر شعر أن عليه عدم إلغاء الزيارة في الوقت الذي كان فيه السوفييت يشتكون أيضا من العمليات الاستخبارية التي تقوم بها ألمانيا الغربية بالتعاون مع وكالة الاستخبارات الأمريكية ضدهم.. وفي شتاء عام 1965 قبيل زيارة رئيس ألمانيا الشرقية أمر عبد الناصر باعتقال نحو ثلاثين عالماً من ألمانيا الغربية كانوا يعيشون في القاهرة وكان من بين الذين أمر باعتقالهم "ولفجانج لوتز" إضافة إلى زوجته ووالديها اللذين كانا في زيارة لمصر وقتها.

وعندها توقع لوتز أن تكون الحكومة المصرية قد علمت بتجسسه لصالح الموساد وخلال استجوابه اعترف من تلقاء نفسه بكل شيء فيما عدا كونه

يهودياً و"إسرائيليا" حيث أصر على أنه ضابط ألماني سابق ضغط عليه الموساد للتجسس لصالحه.. وكان الموساد قد كلف محام ألماني للدفاع عنه أكد وقتها ما كان خافياً على الحكومة المصرية وحيث قال إنه بالفعل مواطن "إسرائيلي" خدم في الجيش "الإسرائيلي" وشارك في عمليات عسكرية ضد الفلسطينيين.

اعتراف على الهواء..

وفي عام 1964 ظهر لوتز على شاشات التلفزيون المصري وهو يقدم اعترافه بأنه ألماني عمل في شبكة تجسس "إسرائيلية" في مصر منذ عام 1961 وأنه نادم على ما فعل ويحمل للمصريين كل احترام وتقدير.. واعترف بأن المصريين عاملوه في سجن معاملة حسنة ومثالية.. وأرسل عام 1965 إلى أحد السجون ليقضي عقوبة السجن مدى الحياة وغرامة قدرها 20 ألف دولار أمريكي.. كما حكم أيضاً على زوجته بالسجن لمدة ثلاث سنوات.. وتم إطلاق سراحه بعد ثلاث سنوات مقابل 500 ضابط مصري كانوا قد أسروا في حرب 1967وكانت المرة الأولى التي تعترف فيها "إسرائيل" بأن لوتز جاسوسها.. وعند إطلاق سراحه ذهب إلى تل أبيب مع زوجته الألمانية اليهودية حيث وضع كتاب بعنوان "جاسوس الشمبانيا" ونال الكتاب نجاحاً كبيرا ولكن ثروة الجاسوس تضاءلت بشكل كبير عقب وفاة زوجته.. وفي مقابلة أجريت معه عندما كان في رحلة في ميونخ عام 1978 شكا من أنه يعيش على حافة الفقر وأنه لا يتلقى سوى معاش لا يتعدى 200 دولار سنوياً يدفع له من قبل الموساد.

***

محمد صابر..
جاسوس الطاقة الذرية.. وسياسة القرصنة الإلكترونية؟!

وفي يوم 18 فبراير عام 2007 ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على شخص يدعى محمد سيد صابر علي (35 عاماً) يعمل مهندساً بهيئة الطاقة الذرية بمصر لدى وصوله لمطار القاهرة قادما من هونج كونج.. حيث تم رصد لقاءه هناك ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلية.. وقصته تدلل علي عنصر الإنتقاء الذي تتبعه أجهزة المخابرات.. كما تجسد بقوة اللعب علي وتر الإحتياج المادي لدي الآخرين..

وكانت تحريات أجهزة الأمن المصرية قد أكدت أن المهندس المصري علي علاقة بالمخابرات الإسرائيلية.. وأنه استغل وظيفته في هيئة الطاقة الذرية للإستيلاء على معلومات هامة تخص عمله بهذا الموقع الحساس لتقديمها للمخابرات الإسرائيلية عن طريق شريكين آخرين أحدهما أيرلندي.. والآخر ياباني.. وأنه تقاضي نظير ذلك من المتهم الثاني الأيرلندي مبلغ 17 ألف دولار أمريكي وجهاز كمبيوتر محمول.

وقد اعترف المتهم تفصيلياً بتخابره لصالح إسرائيل.. وتم تقديمه للمحاكمة.. بينما نفى متحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية علم حكومته بهذه القضية.. وأكد أن إسرائيل اطلعت على هذه القضية من وسائل الإعلام وليس لديها أية معلومات تفصيلية عنها.

وكانت هذه هي القضية الثانية التي يتهم ضبطها خلال أقل من أربعة أشهر.. ويتهم فيها مصري بالتجسس لحساب إسرائيل.. بعد قضية عصام العطار..

***

عصام العطار..

وسياسة التجنيد بالتهديد!!

أما قصة عصام العطار ، وهو أيضاً واحد من آخر الجواسيس الذين تم القبض عليهم في مصر مؤخراً.. فنسوقها للتأكيد علي أسلوب إخضاع العميل وإجباره علي التخابر باستخدام أسلوب التهديد.

ولد محمد عصام غنيم العطار لأسرة ذات عراقة في العمل الديني في مصر.. فجده لأبيه الشيخ محمد العطار كان شيخاً سابقا للأزهر.. انفصل والد عصام العطار - الذي تبرأ منه تماماً بعد تكشف القضية - عن أمه التي كانت تعمل مهندسة زراعية قبل 29 عاماً.. وقال الأب فيما بعد إن الأم هي التي أفسدت ابنه.. وأنه - أي أبوه - لم يره منذ 5 سنوات عندما حضر للعزاء في وفاة جده وأخبره ابنه حينها أنه يعمل مهندس بترول في إحدي الشركات الأمريكية.. وأكد الأب أنه علي استعداد لشنق ولده بيديه لو تأكد من أنه عمل بالفعل جاسوساً لإسرائيل.

وعندما تم اصطياد العطار بواسطة ثلاثة من ضباط المخابرات الإسرائيلية في تركيا عام 2001.. دبر له ضباط الموساد وظيفة محاسب بأحد البنوك الكندية.. وساعدوه في الحصول علي الجنسية الكندية بعد أن تم تنصيره وتغيير اسمه إلى " مايكل ".. وتم زرعه من خلال عمله وسط تجمعات المصريين والعرب المهاجرين إلى هناك.. وطلبوا منه التجسس على العرب والمصريين من خلال عمله في البنك الكندي الذي كان يعمل به.

وأغلب الظن أن عصام قد تم السيطرة عليه من خلال ما عرف عنه من ممارسته للشذوذ الجنسي.. إما بتصويره ثم تهديده فيما بعد.. أو بوسيلة أخرى.. وبعد دخوله الأراضي المصرية بجواز سفره الكندي.. وبالاسم والديانة الجديدتين.. كان ضباط

المخـابرات المصـرية الـذين يتابعونـه مـن فتـرة كبيـرة ينتظرونـه ليلقـوا القـبض عليـه.. وعندها حـاول إنكـار أنـه عصـام العطـار والتمسك بشخصيته واسمه الجديدين.. إلا أنـه سرعان مـا انهـار واعتـرف بالحقيقـة.. وتـم تقديمـه للمحاكمـة.. حيـث حكـم عليـه القضـاء المصري بالسجن 15 عاماً.. ومازال في محبسه حتى الآن.

***

مجدي توفيق..
وسذاجة الباحثين عن الوهم في أحضان أجهزة المخابرات!!

أما قصة مجدي توفيق فهي أغرب النماذج التي من الممكن التعرض لها بـالفحص.. والتحليـل.. وتعكـس نوعـاً مـن السـذاجة غيـر العاديـة.. فـي مـن يتوهمـون فـي العمـل المخابراتي أنه الملجأ الآمن.. وأقصر الطرق للحصول علي الأموال بسهولة.. فقد انتهت هذه القصة.. قبل أن تبدأ.. وبطلها يدعي مجدي أنور توفيق وصدر ضده حكماً بالسجن 10 سنوات أشغالاً شـاقة بعد أن وجهت لـه أجهزة الأمـن المصـرية تهمـة السـعي إلـى التخابر مع دولـة أجنبية.. وكذلك أيضا تهمة التزوير في أوراق رسمية حيث قـام المتهم بتزوير شـهادة من الأمانـة العامـة للصندوق المصـري للتعـاون الفنـي مع أفريقيـا التـابع لوزارة الخارجية المصرية تشير إلى عمله بها كوزير مفوض على غير الحقيقـة.. وكـان قد لجـأ إلـى تلـك الحيلـة المـاكرة لرفـع سـعره لـدى المخـابرات "الإسـرائيلية".. واعتـرف الجاسوس أنـه قـام بالاتصـال بالقنصـلية الإسـرائيلية بالإسـكندرية عـن طريـق الفـاكس.. وبـالطبع كانـت المخـابرات المصـرية تتـابع كـل خطواتـه منـذ بـدايتها دون أن يـدرى.. ولسذاجته الشـديدة فـى طريقـة اتصـاله بالقنصـلية الإسـرائيلية ووقـع قبـل أن يبدأ مشـوار الخيانة.

***

عزام عزام..
وسياسة اختراق وتدمير اقتصاد الدول عن طريق التطبيع!!

ومن أشهر قضايا التخابر التي أثارت موجات متعاقبة من تأليب الرأي العام في مصر والعديد من دول العالم كانت قضية (عزام عزام) ذلك الجاسوس الإسرائيلي الذي أفرج عنه نهاية 2004 بعد أن قضى في السجون المصرية ثمانية أعوام.. بموجب صفقة تبادل أفرجت إسرائيل خلالها عن ستة طلاب مصريين قيل أنهم تسللوا إلي داخل الحدود الإسرائيلية لاختطاف دبابة إسرائيلية في أغسطس من نفس العام.. وبموجب نفس الصفقة أفرجت إسرائيل فيما بعد أيضا عن 159 فلسطينياً من السجون الإسرائيلية.. وفيها يتضح تماماً سياسة بعض أجهزة المخابرات في اختراق الدول والمجتمعات المعادية عن طريق التطبيع التجاري فيما بينهما.. بغرض ضرب الإقتصاد القومي لتلك الدول.

وكان (عزام عزام) من أهم وأشهر وأخطر جواسيس إسرائيل في مصر.. وكان يمثل بالنسبة للجانب الإسرائيلي أهمية كبرى بدليل أنه منذ أن حكم عليه عام 1997 بالسجن لمدة 15 عاماً.. وإسرائيل وقادتها لا يألون جهداً في المطالبة بالإفراج عنه.. وتمّ لهم مرادهم وأفرج عنه بعد قضاءه مدة ثماني سنوات في السجون المصرية.

وكان عزام قد ألقي القبض عليه عام 1996.. وكذلك جميع أفراد شبكة التجسس التي كان يتزعمها.. وكان من بينهم شاب مصري يدعى " عماد إسماعيل " تم تجنيده أثناء وجوده في إسرائيل للتدريب على صناعة الملابس الجاهزة ضمن إحدى البعثات التبادلية بين الشركات والمصانع المصرية.. ونظيرته الإسرائيلية.. وكان عماد موفداً من قبل المصنع الذي يعمل به في إحدى تلك البعثات التدريبية.. حيث تم الإيقاع به عن طريق عميلتين للموساد تدعيان " زهرة يوسف جريس ".. و "منى أحمد شواهنة "..

وكـان عـزام يقـوم هـو وأفـراد شـبكته بجمـع معلومـات خاصـة بالأنشـطة التصـنيعية والاقتصـادية للمصـانع الموجـودة فـي المـدن الجديدة مثـل مدينـة 6 أكتـوبر والعاشـر مـن رمضـان.. واستحدث عزام عزام وسائل كانت جديدة للغايـة فـي التعامل والإلتقـاء بـأفراد شبكته المتواجدين بمصر وقتها.. فكان علي سبيل المثال يقوم بإدخال الحبر السري الذي يستخدمه هو ومعاونوه عن طريق ارتدائهم أثناء دخولهم مصر ملابس داخلية مشبعة ببودرة الحبر.. ثم غسل هذه الملابس فيما في مياه مقطرة فتتحول المياه إلي سائل حبري خاص يستخدمونه فيما بعد في كتابة خطاباتهم.

وبعد القبض عليه ومحاكمته صدر ضده حكماً بالسجن 15 عاماً.. كما صدر الحكم بالسجن 10 سنوات علي عماد إسماعيل.

واعتـرض " بنيـامين نتنيـاهو " رئـيس وزراء إسـرائيل وقتهـا علـى حكـم القضـاء المصري وفـي آخر زيـارة لعزام فـي السـجن وكانـت من " دانـي نافيـه " مستشـار رئـيس الوزراء الإسرائيلي وقتها " إسحق شارون " ومستشارته الصحفية ومندوب من السفارة الإسرائيلية بالقاهرة.. طلب عزام منهم ضرورة الإسراع بالإفراج عنه لأنـه ضـاق بحيـاة السجن.. فأكدوا لـه أنهم يحملون لـه وعداً من إسحق شارون بأنه شخصياً سيبذل أقصـى جهوده ومن وراءه حكومة إسرائيل بالكامل لتحقيق هذا الهدف.

والغريب أن قادة إسرائيل كانوا دائما يضعون قضية الإفراج عن عزام عزام محل اهتمامـاتهم ويجعلونهـا رقم واحد علـى أجندة المباحثـات بين مصـر وإسـرائيل.. وكانـت الحكومة المصرية ترد هي الأخرى دائماً برد واحد وهو أن القضـاء المصـري لــه كامل السيادة ويتمتع بالنزاهة والاستقلال في أحكامه.. حتى تم الإفراج عن عزام فـي الصـفقة المشار إليها.

***

سمحان موسى..
وسياسة إغراق المجتمعات في دوامة المخدرات

وهذه القضية تعد هي الأخرى واحدة من أغرب قضايا التجسس الإسرائيلي على مصر بطلها هو الجاسوس " سمحان موسى مطير".. وتعد هذه القضية هي الأغرب لأنها المرة الأولى التي يتم فيها تجنيد تاجر مخدرات ليكون جاسوسا لإسرائيل وكان " سمحان " قد اتفق مع رجال الموساد بعد اصطياده وتجنيده على أن يتقاضى ثمن خيانته كميات كبيرة مخدرات.. وكان سمحان يعمل في فترة شبابه بإحدى شركات المقاولات التي لها أعمال مشتركة في مصر وإسرائيل ومن هنا جاء اتصاله بالموساد الإسرائيلي وعمل بتجارة المخدرات تحت ستار شركة مقاولات خاصة وكانت له علاقات واتصالات عديدة ببعض ضباط الموساد المعروفين.

وكان سمحان جاسوس شديد الحرص للغاية.. تلقى تدريبات على أعلى مستوى في كيفية الحصول على معلومات.. وكيفية إرسال واستقبال الرسائل المشفرة بمختلف الطرق.. لكنه كان يفضل دائماً أن يحفظ المعلومات التي تتوافر لديه وينقلها شفاهة إلى ضباط الموساد الإسرائيلي.. وكانت المعلومات المطلوبة من سمحان تتعلق بالوضع الاقتصادي لمصر وحركة البورصةالمصرية وتداول الأوراق المالية.. وكذلك تم تكلفته بالحصول على معلومات تخص بعض رجال الأعمال.. حتى تم القبض عليه ومحاكمته عام 1997.

***

شريف الفيلالي..
وسياسة تجنيد طلاب البعثات الخارجية..

من أبرز القضايا التي صدرت فيها أحكام مشددة قضية المهندس شريف الفيلالي.. ففي مارس 2002 قضت محكمة أم الدولة العليا في مصر بحبس الفيلالي (35 عاما) خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة.. وحكمت المحكمة أيضا على شريكه الروسي " جريجوري شفيتس " غيابياً بالسجن لمدة 25 عاماً لإدانته بالتخابر مع الموساد وتجنيد الفيلالي.

والغريب في هذه القضية أن الفيلالي كان قد تم تبرئته في حكم محكمة أول درجة.. إلا أن الرئيس المصري حسني مبارك أمر بإعادة محاكمته ليتم إدانته لاحقا..

وكان شريف الفيلالي الذي سافر عام 1990م لاستكمال دراسته العليا بألمانيا وخلال إقامته بها تعرف على امرأة ألمانية يهودية تدعى (ايرينا) قامت بتقديمه إلى رئيس قسم العمليات التجارية بإحدى الشركات الألمانية الدولية والذي ألحقه بالعمل معه بالشركة وطلب منه تعلم اللغة العبرية تمهيداً لإرساله للعمل في إسرائيل.. وعندما فشل في تعلم اللغة العبرية سافر إلى أسبانيا وتزوج من امرأة يهودية مسنة.. ثم تعرف على " جريجروي شيفيتش" الضابط السابق بجهاز المخابرات السوفيتي (K. G. B) والمتهم الثاني في القضية وعلم منه أنه يعمل في تجارة الأسلحة.

وأغراه بأنه يستطيع مثله أن يثرى مالياً بشكل كبير في زمن وجيز لكن بشرط أن يستمع لنصائحه جيداً.. وينفذ ما يطلبه منه.. وكان ما يطلبه هو إمداده بمعلومات سياسية وعسكرية ومدي الاستقرار السياسي في مصر والتطورات

التـي تمـر بهـا القـوات المسـلحة المصـرية وبخاصـة زوارق الصـواريخ البحريـة 205 و 206 مسـتغلاً علاقتـه بـابن عمـه سـيف الـدين الفيلالـي الضـابط السـابق بـالقوات البحريـة المصـرية [1].. ومعلومـات أخـرى حـول الأوضـاع الاقتصـادية تخـص مشـروعات اسـتثمارية قائمـة منهـا مـا هـو سـياحي وزراعـي بمسـاعدة ابـن عمـه الآخـر ويـدعى سـامي الفيلالـي الـذى كـان يعمـل وقتهـا وكـيلاً لـوزارة الزراعـة.. ووافـق الفيلالـي وبـدأت اللقـاءات مـع ضـابطين مـن الموسـاد تـم تجهيـزه مـن خلالهـا حتـى نجـح رجـال الأمـن المصـريون فـي القـبض عليـه فـي بـدايات عـام 2001 وحكـم عليـه بالسـجن 15 عامـاً.. حتـى مـات بالسـجن فـى أول يوليـو 2007 بعد وفاة البطل المصري أشرف مروان بأيام قليلة.

***

روبرت هانسن..
أكبر وصمة عار في تاريخ المخابرات المركزية الأمريكية..
وسياسة الإختراق من الداخل؟!

مكتـب التحقيقـات الفيـدرالي فـي الولايـات المتحـدة مؤسسـة أمنيـة تهـتم بـأمن الدولـة.. وهـو يعتبـر المسئول عـن الوضـع المخـابراتي داخليـاً هنـاك.. نطـاق عملهـم يـدور فـي إطـار تحديـد هويـة العمـلاء المتخفـين والـذين يشـكلون تهديـداً علـى الـبلاد بمـا يملكونــه مــن معلومــات.. بينمــا يمتلكــون هــم معلومــات غايــة فــي الأهميــة والحساسـية عـن عمـلاء الولايـات المتحـدة الـذين يعملـون لصـالحها فـي الخـارج.. ولـديهم أيضـاً وثـائق و رسـومات وصـور مهمـة لكـل الأهـداف والمنشـئات الحيويـة

---

1 - لم تثبت التحقيقات التى إجريت مع الفلالي .. ولا تحريات القضية أي تعاون تم بينه وبين ابني عمه المشار إليهما .. بل ثبت أنهما لم يكونا علي علم علي الإطلاق بما يقوم به ابن عمهما .

والسرية داخل الولايات المتحدة.. فإذا سقطت بعض هذه المعلومات في يد أية جهة معادية.. فسيكون الأمر بمثابة كارثة حقيقية تشكل تهديداً هائلاً على أمنها.

لكن هذا ما حدث بالفعل في الثمانينات من القرن الماضي.. وهي قصة يعتبرها عملاء المباحث الفيدراليون أنها أكثر القضايا التي جلبت لهم العار على مر قرن من الزمان هو عمر إنشاء المؤسسة الفيدرالية.. القضية عرفت باسم بطلها ويدعي (روبرت فيليب هانسن) الذي كان أحد أنجح وأهم العملاء في تلك المؤسسة والذي بدلاً من أن يكون مصدر ثقة وأمان لمواطنيه أصبح بين ليلة وضحاها من أكثر العوامل تهديداً لأمنها واستقرارها.

نشأة روبرت:

ولد فيليب هانسن في الثامن عشر من شهر أبريل سنة 1944 بولاية شيكاغو.. وكان والده يعمل شرطياً في المدينة قبل أن يذهب للعمل في البحرية إبان الحرب العالمية الثانية.. وبعد انتهاء الحرب عاد أبوه لسلك الشرطة والتي استمر فيها لمدة ثلاثين سنة قبل أن يحال إلي التقاعد.. استكمل هانسن دراسته بصعوبة ناتجة عن علاقته الفاترة بوالديه.. خاصة أبوه الذي لم يقدم لابنه الصغير الرعاية والحب الكافيين.. وقد ذكر هانسن ذلك بشكل واضح في مذكراته الشخصية.. مما كان له بالغ الأثر في نفسيته وتكوينه العاطفي والذي انعكس على حياته فيما بعد.. وعرف عن هانسن ذكاؤه الشديد.. وقدرته العجيبة في حفظ.. واستيعاب الأمور والكلام الذي يلقي علي مسامعه للمرة الأولي.. ويشير لذلك الكثير من زملائه الذين لاحظوا أنه كان يحضر المحاضرات الدراسية حاملاً معه فقط ورقة واحدة نادرا ما تمتلئ بالكتابات.. وبأنه كان يفاجأهم بعد المحاضرات بقيامه بإعادة كل ما قاله المحاضر.. وكأنه يحفظه عن ظهر قلب.. أو يقرؤه من كتاب مفتوح أمامه.

محاولة أولي فاشلة:

قام هانسن بمحاولة فاشلة للإنضمام إلى أجهزة مخابرات الأمن القومي (NSA) حيث كان المسئولون في جهاز المخابرات في هذا الوقت يرفضون انضمام عملاء جدد لأسباب مادية حيث كانت سياسة جهاز المخابرات آنذاك تسعى إلي تقليص الميزانية نظراً للركود الاقتصادي الذي صاحب تلك الفترة والتي كانت تخوض فيها الولايات المتحدة الأمريكية حرب فيتنام التي كبدتها خسائر فادحة هزت اقتصادها.

آنذاك كان تجنيد المواطنين في خدمة الجيش منتشراً ولم يكن هانسن متحمساً لخدمة الجيش.. فقرر أن يكمل تعليمه ليحصل على وظيفة راقية في المجتمع عوضاً عن السفر آلاف الأميال لملاقاة عدولم يشاهده ولم يؤذيه.. فقرر أن يكمل دراسته.. والحصول على شهادة عليا فدخل كلية طب الأسنان بجامعة نوكس بشيكاغو.. ولكن الأمور لم تسر حسب ما كان يطمح ولم تعجبه تلك النوعية من الدراسة.. فترك الكلية في محاولة للبحث عن نفسه في اتجاهٍ آخر.

وظيفة جديدة:

وبعد فترة تمكن أبوه من توفير وظيفة مناسبة له في مستشفي للأمراض النفسية والعصبية.. وكان أثناء عمله يتباهى بنفسه ويقوم بدعوة المرضى ومقابلتهم متقمصاً شخصية الدكتور.. حيث كان يحب دائماً السيطرة علي الآخرين.

وظل الحال على ما هو عليه حتى قام بترك هذه الوظيفة أيضا واتجه أخيراً للجامعة وحصل منها على شهادة في المحاسبة.. وتزوج عام 1968 وبعدأن توظف كشرطي في مدينة شيكاغو كان لعمله الدؤوب وجهده المتواصل

الفضل في أن يحصل على ترقية بقبوله في مكتب التحقيقات الفيدرالي سنة 1976م.. وبعد أن أصبح الثعلب داخل واحدة من أكبر المؤسسات الأمنية في البلاد مرت الأيام والسنوات ليبدأ بالتحرك.. وبحلول عام 1985م وجد هانسن نفسه مسئولاً عن عائلة مكونة من طفلتين وزوجة وبعض الالتزامات التي لم يكن دخله السنوي والمقدربأربعين ألف دولار ليغطيها.. وذات يوم وقع في يد هانسون كتابٌ بعنوان (حربي الصامتة) لـ كيم فيلبي والذي كان جاسوساً بريطانياً عمل لصالح المخابرات الروسية لمدة عشرين عاماً.. وكان لهذا الكتاب أثره الشديد في حياة هانسون.

فلجأ هانسن لبعض العملاء الروسيين في أمريكا وعرض عليهم خدماته مقابل المال.

الخوف من الفقر:

لعل خوف هانسن من تعرض أطفاله لحياة قاسية بدافع الفقر مثل تلك التي عاشها هو نفسه وشدة حبه لهم ولأسرته.. وحتي لايكرهونه كما كره هو أباه هوالذي دفعه للذهاب بقدميه إلي بئر الخيانة.

وفي بداية تعامله معهم قام بإعطاء الروس بعض المعلومات التي لم تكن ذات أهمية علي أمل التوقف في اللحظة المناسبة.. واستثمار ما سوف يجنيه من وراءهم من مال لتحسين أوضاعه المادية.. لكن ليس كل ما يشتهيه المرئ.. يدركه.. فقد انزلقت قدما هانسن إلي طريق لا نهاية له إلا الموت أو السجن.

فالخبراء الروس كانوا يعلمون جيداً من تعاملهم مع هانسن أنه يحاول تحسين أوضاعه المادية فقط ومن هذا المنطلق أصبحوا يغرونه شيئاً فشيئاً بمبالغ كبيرة لم يكن ليرفضها في سبيل توفير بعض المعلومات المهمة.

فبدأ هانسن بتوفير تلك المواد للعملاء الروس وزاد من نشاطه مؤخراً.

يقظة رجال المكتب الفيدرالي:

وفـي هـذه الأثنـاء بـدأ القيـادات العليـا بالمكتـب الفيـدرالي يلاحظـون سـقوط الكثيـر مـن عملائهـم فـي موسـكو فـي يـد المخـابرات الروسـية فأصـبحوا يفكـرون جـدياً باحتمـال أن هنـاك مـن يسـرب المعلومـات مـن الـداخل للمخـابرات الروسـية والتـي قامـت باكتشـاف الكثيـر مـن العمـلاء الـذين يعملـون لصـالح الــ (سـي. إي. إيه).

ومـن هـذا المنطلـق قـام مكتـب التحقيـق الفيـدرالي بالتعـاون مـع الــ (سـي. إي. إيـه) بـالتحرك فـوراً مـن أجـل كشـف مصـدر التسـريب داخـل جهـاز المخـابرات قبـل أن تتسـرب معلومـات أخطـر تفـوق مـا تـم معرفتـه عـن جواسـيس يعملـون لصـالحهم في الخارج مما قد يمثل تهديداً مباشراً للأمن القومي في البلاد.

وفـي هـذه الأثنـاء كـان هانسـن علـى الـرغم مـن حرصـه الشـديد موضـع اهتمـام المحققـين نظـراً للتغيرالواضـح الـذي طـرأ علـى حياتـه مـن خـلال معـدل إنفاقـه الشخصي الذي كان يفوق دخله الشهري بمراحل عديدة.

فقـام عمـلاء الــ (إف. بـي. آي) بتتبـع هانسـن لمعرفـة المصـدر الحقيقـي لدخلـه المادي.

وكـان هانسـن يسـتخدم العديـد مـن الأسـماء المسـتعارة مـع الـروس مثـل(رامـون) وكانـت خبرتـه فـي العمـل مـع الــ (إف. بـي. آي) قـد سـاعدته كثيـراً علـي أن يحتـاط جيـداً فأصـبحت عمليـة تتبعـه شـديدة الصـعوبة.. ولـم يقـم فـي يـوم مـن الأيـام بالاتصـال المباشـر مـع العمـلاء الـروس.. بـل كانـت المعلومـات والأمـوال تسـلم عنـد نقطـة تسـليم تتغيـر فـي كـل مـرة يـتم الاتفـاق عليهـا بيـنهم وبعـد جهـود مضـنية فـي

محاولـة التأكـد مـن هويـة الخـائن الـذي يقـوم بتسـريب المعلومـات لـم تكـن شـكوك الــ (إف. بـي. آي) تكفـى للقـبض علـى هانسـن لعـدم تـوفر الأدلـة والتـي كانـت بالتأكيـد فـي حالـة براءتـه سـتؤدي لانتبـاه الخـائن الحقيقـي وسـيتوقف.. وبالتـالي سـتؤدي إلـي صعوبة تتبعه دون استمرار نشاطه.

بداية الخيط:

ولكـن الحـل أتـى مـن الــ (سـي. إي. إيـه) والتـي اسـتطاع عملاؤهـا فـي روسـيا الحصـول علـى وثـائق رسـمية تتعلـق بجاسـوس أمريكـي يعمـل لصـالح المخـابرات الروسـية.. وكانـت أوصـاف هـذا الجاسـوس والمعلومـات المتـوفرة عنـه تطـابق المعلومـات المتعلقـة بــ (هانسـن) وبعـد تكثيـف عمليـة مراقبتـه تـم القـبض عليـه متلبساً بحديقـة فيينـا بـالقرب مـن ولايـة فيرجينيـا عنـدما كـان يهـم بوضـع بعـض المعلومـات المهمـة فـي مكـانٍ سـري.. وأخـذ المـال الـذي وضـع لـه مـن قبـل العمـلاء الروس من نفس المكان..

وكانـت هـذه القضـية بمثابـة وصـمة عـار علـى جميـع الأجهـزة الأمنيـة بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة.. خاصـة جهـاز الــ (إف. بـي. آي) الـذي كـان يعمـل بـه الرجـل.. وقـدرت الأمـوال التـي تحصّـل عليهـا هانسـن بــ 600 ألـف دولار أمريكي تسلمها على شكل دفعات مقابل المعلومات التي كان يوفرها للروس.

وكـان حجـم الأضـرار التـي قـد تحـدث نتيجـة المعلومـات التـي تـم تسـريبها مـن هانسـن لا يمكـن الـتكهن بهـا فلـم تكـن هنـاك معلومـات أكيـدة عـن نوعيـة الملفـات البالغة الأهمية التي قام هانسن بتسريبها للروس.

ومنـذ هـذه القضـية قامـت الحكومـة الأمريكيـة بإعـادة هيلكـة الرواتـب للعمـلاء الفيدراليين وزيادتها وليس للنقص وإضافة بعض المميزات لهم وكذلك تقليص بعض

الصلاحيات المتوفرة للعملاء في الكشف عن بعض المعلومات المتعلقة بأمن الدولة.

***

كيم فيلبي.. الأسطورة..
وسياسة التجنيد من أجل العقيدة؟!

يعد كيم فيلبي في سجلات تاريخ الجاسوسية زعيم حلقة عملاء كامبردج الشهيرة والأسطورية وأحد أهم جواسيس القرن العشرين.. انضم إلى خدمة الاستخبارات السرية عام 1940 وترقى حتى وصل إلى موقع رئاسة إدارة مكافحة التجسس السوفييتي وضابط الارتباط ما بين الاستخبارات البريطانية الـ M. I. 6 ونظيرتها الأمريكية الـ (C. I. A) وأيضا الـ (F. B. I) وهو من قام بتسريب جميع أسرار عمليات الحلفاء وقدمها إلى الروس وقام بالعمليات السرية من أجل إزاحة الستار الحديدي في السنوات الأولى للحرب الباردة كان عبثياً ومتعجرفاً وتهكمياً ومليئاً بالثقة بالنفس وكان جاسوساً بارعاً تمكن بكل ذكاء من التفوق على وكالات التجسس البريطانية التي عمل معها.. وكان مخلصاً للماركسية حيث فضل النظام السوفييتي بكل مساوئه عن النظم الغربية الديمقراطية وضحى في سبيل الماركسية بكل شيء بما في ذلك جنسيته وسمعته.

ولد في الهند البريطانية لأسرة تنتمي للطبقة العليا حيث كان والده ضابطاً مدنياً ذا رتبة عالية.. وعقب تخرجه في إحدى مدارس الارستقراطيين عام 1928 التحق بجامعة كامبردج وتخرج فيها عام 1933.

وعند تخرجه عمل فليبي في الصحافة وبحث عن وظيفة في صحف سياسية معتدلة وأخفى معتقداته الشيوعية وعندما اندلعت الحرب الأسبانية حصل فيلبي على عمل كمراسل لصحيفة لندن وهي وكالة صحافة صغيرة لتغطية الحرب.. ولكنه في الواقع كان قد أرسل إلى أسبانيا من قبل السوفييت للتجسس على الثوار ضد الجمهوريين.

عاد إلى إنجلترا واندلعت الحرب العالمية الثانية ولكنه أرسل إلى فرنسا وفي هذا الوقت أصبح مراسلاً حربياً متمرساً وأظهر احتراماً للقائد الأعلى البريطاني ومن خلاله تمكن من الاطلاع على الأسرار العسكرية الأكثر أهمية والتي كان يرسلها إلى موسكو.

وعندما سقطت فرنسا عاد إلى إنجلترا مرة أخرى وعلى الرغم من عضويته في البعثة (الأنجلو - ألمانية) إلا إنه قرر الانضمام إلى خدمة الاستخبارات البريطانية السرية وتمكن ببراعة لا توصف من الانضمام إلى الاستخبارات السرية.. وفي صيف عام 1940 كانت المرة الأولى التي قام فيها بالاتصال مع السرية البريطانية.

وترقى في منصبه حتى وصل إلى منصب رئيس إدارة مكافحة التجسس السوفييتي وضابط الارتباط ما بين الاستخبارات البريطانية الـ (M. I. 6) ونظيرتها الأمريكية الـ (C. I. A) وأيضاً الـ (F. B. I) قام بتقديم جميع أسرار عمليات الحلفاء إلى روسيا.. وقام بالعمليات السرية من أجل إزاحة الستار الحديدي في السنوات الأولى للحرب الباردة.. في عام 1967 كتب في موسكو مذكراته في كتابه الشهير الذي ما زال حتى اليوم يطبع الآلاف من النسخ (حربي الصامتة) وهو الكتاب الذي أذهل العالم وفيه كشف عن تفاصيل عمله كجاسوس مزدوج لصالح الـ (K. G. B) للمرة الأولى واعتبره أحد أكثر الجواسيس نجاحاً في العالم وكان أيضاً كاتباً متميزاً قدم (قصة أيقونة) عن سنوات الحرب الباردة وأحداث ما بعد الثورة في الكتاب الذى أعيد طبعه مرات ومرات بعد نحو 12 عاماً من صدوره للمرة الأولى وفيه يقدم فيلبي تفاصيل عمليات التجسس التي قام بها لصالح الاتحاد السوفييتي وكيف تمكن من النجاح في الهرب إلى موسكو عام 1963 والتي عاش بها حتى وفاته عام 1988 ويشرح لماذا ظل مخلصاً للشيوعية حتى بعد أن اكتشف جرائم ستالين؟

ويكتب في مذكراته: (في صيف عام 1940 كانت المرة الأولى التي أحرى فيها اتصالاً بالخدمة السرية البريطانية ولكن الأمر كان بمثابة قضية مثيرة بالنسبة لي لعدة سنوات في ألمانيا النازية وفيما بعد في أسبانيا حيث خدمت كمراسل لصحيفة التايمز مع قوات الجنرال فرانكو) وفي جزء آخر يكتب: (قررت أن أترك التايمز قبل أن تتركني هي إن فكرة أن أظل أكتب ممجداً عن عظمة القوات البريطانية وروعة أخلاقيات جنودها للأبد كانت فكرة ترعبني).

عند نهاية الحرب فإن إنجلترا وإلى حد كبير الولايات المتحدة أصبحتا أقل ثقة في حليفهما السوفييتي وأدركا أن جوزيف ستالين لديه خطط لما بعد الحرب تتضمن الاستيلاء والسيطرة على دول وسط أوروبا أثناء تحررها من الألمان.. وأراد تشرشل أن تتم مراقبة السوفييت عن قرب ومن جانبه كما يذكر فيلبي اقترح أن يتم إنشاء مكتب مقاومة للشيوعية داخل الاستخبارات البريطانية في حين أدرك المشرف عليه أن فيلبي كان على صلة بضباط سوفييت ذوي رتب عليا في إنجلترا ودول أخرى وبهذا تمت الموافقة على خطة فيلبي التي أبهجت المشرف عليه السوفييتي (اناتولي ليبيديف) الذي استبدل ببوريس كورتوف مدير الاستخبارات المسؤول عن عمليات فيلبي لصالح الـ(K. G. B) والذي كان لفترة طويلة قد أشرف على عمليات فيلبي.

في 23 يناير 1963 ترك فيلبي أسرته وهرب إلى الاتحاد السوفييتي في حين انتظرته زوجته في حفل عشاء وسار عبر مرفأ في ميناء بيروت ومن هناك استقل سفينة إلى الميناء الروسي أوديسا وعاش فيلبي لعدة شهور في مدينة على نهر الفولجا على بعد آلاف الأميال من موسكو وعندما وصل موسكو كان بورجيس قد توفي إثر أزمة قلبية في سن 52 عاما وكانت وفاته بسبب الإفراط في الشراب.

***

كاميليا..
سياسة التجنيد عن طريق الجنس.. وتصفية العملاء عند اللزوم!!

ولدت كاميليا فى 13 ديسمبر عام 1919.. وماتت محترقة فى حادث طائرة فى 31 أغسطس عام 1950.. وكانت إحدي العضوات النشطات فى شبكة التجسس على الملك فاروق الأول (1936 - 1952) وعلى الأوضاع السياسية فى مصر فى فترة مهمة من فترات الصراع العربي الاسرائيلى.. وتغلغلت وسيطرت علي عقل ومشاعر الملك بعد أن تعرفت عليه منذ عام 1946والى نهاية علاقتها به عام 1949حتى أنها كادت تكون سبب طلاق فاروق من زوجته الملكة فريدة كما تمكنت من اختراق مجتمع رجال السياسة والمال معتمدة على أنوثتها الطاغية وموهبتها الفذة فى استقطاب الرجال والسيطرة عليهم.. وكانت مرتبطة بالوكالة اليهودية فى تل أبيب.. وتعمل تحت ستار اشتغالها بالفن.. وكانت تلتقي مع عملاء الوكالة اليهودية فى جزيرة قبرص.. وفى الفراش الذي كان يجمع فاروق وكاميليا كانت المخابرات اليهودية ثالثهما.

***

الهجان.. والشوان..
وإنهاء التعامل في الوقت المناسب؟!

في سنة 1963 أراد جاك بيتون (رأفت الهجان) العودة مرة أخرى إلي مصر وإنهاء عمله كجاسوس في إسرائيل بشكل نهائي.. ولكن هذا كان فيه من الخطورة على حياته الكثير والكثير حيث أن اختفاءه من إسرائيل فجأة وهو رجل مرموق بها وصاحب علاقات وطيدة بأكبر الشخصيات الإسرائيلية سوف يثير ريبة أجهزة الموساد.. و في نفس الوقت سوف يكون خطرا يتسبب في كشف شبكات التجسس التي كونها الهجان.. ولذلك كان لابد من الانسحاب التدريجي.. وبالفعل بدأ رجال المخابرات المصرية إعداد خطة لذلك فتم توجيهه للسفر إلي بلد آخر للعيش فيها بشكل يبدو طبيعياً.. وسافر الهجان إلي ألمانيا وبدأ في تكوين شركة نفط بها وكذلك بدأ في طلب الحصول على الجنسية الألمانية.. وفي تلك الفترة تعرف الهجان على (فلتراود) وهى امرأة ألمانية كانت مطلقة ولديها ابنة اسمها (اندريا).. تزوج الهجان من تلك السيدة وتبنى ابنتها التي كان عمرها وقتها أربع سنوات.. ثم أنجب الهجان من زوجته الألمانية ابنه (دانيال) وبدأ يعيش حياة طبيعية كرجل أعمال.. وعلى الرغم من ذلك لم يقطع الهجان صلته أو اتصالاته بالمسئولين الإسرائيليين بل كان دائم الاتصال بهم وكانت أي معلومات يحصل عليها يرسلها على الفور إلي المخابرات المصرية.. وفي حديث معهم ذات مرة عرف معلومات تؤكد نية إسرائيل في شن حرب على مصر في الخامس من يونيو 1967.. فقام على الفور بإرسال تلك المعلومات إلي المسئولين في مصر.. إلا أنه للأسف لم يهتم أحد بتلك المعلومات لوجود معلومات أخرى تؤكد أن الضربة سوف تكون من نصيب سوريا فقط.. ثم كانت النكسة.

بعد النكسة:

بعد هزيمة 1967 عاد الهجان إلي مصر وبدأ يسأل عن الأسباب الحقيقة التي أدت

للهزيمة.. وأدرك أن وجوده في إسرائيل سوف يكون أكثر إفادة ونفعاً لمصر من وجوده في ألمانيا.. أو حتى مصر نفسها.. فقرر على الفور العودة مرة أخرى إلي ساحة معركته القدرية.. هناك حيث إسرائيل.. وبالفعل حزم جاك بيتون حقائبه وعاد مرة أخرى... وطلب من أجهزة المخابرات المصرية ترتيب الأمور لعودته إلي إسرائيل.. وهكذا عاد الهجان حاملا حياته وروحه على كفيه مرة أخرى ليساعد مصر في إمدادها بالمعلومات.. وحتى يساهم ويساعد في محو عار الهزيمة عن الوطن.

الهجان في حرب أكتوبر:

أخذ الهجان في جمع المعلومات والمعلومات.. إلي أن وقع تحت يديه معلومات غاية في الأهمية.. كانت لها الأثر الكبير في انتصارات أكتوبر 1973 ومن خطورة تلك المعلومات وأهميتها أنه لم يعلن عنها حتى الآن لا من قبل أجهزة المخابرات ولا من قبل الهجان نفسه في مذكراته التي كتبها قبل وفاته.. في تلك المرة وثقت أجهزة المخابرات والقيادات العامة في مصر كل الثقة في المعلومات التي أرسلها الهجان وبدأت مصر ترتب وضعها وتبنى خططها الحربية بناء على تلك المعلومات.. وبالفعل جاءت حرب أكتوبر المجيدة وتحقق النصر.. وبذلك كان رأفت الهجان (رفعت الجمال) جندي مقاتل في حرب أكتوبر.. لكن جندي مجهول.. ومستتر.. تماماً مثلما كان هناك جنود مجهولون آخرين لا يراهم ولا يسمع عنهم أحد.

الهجان بعد 6 أكتوبر:

بعد حرب أكتوبر 1973 غادر الهجان إسرائيل عائداً إلي ألمانيا.. لكن هذه المرة كانت مغادرة نهائية.. ولم يدخل إسرائيل مرة أخرى.. وذلك بعد أن تيقن من داخله أنه أتم عمله على أكمل وجه.. وانتصرت مصر.. وكان في ضميره أثناء مغادرته تل أبيب أن يحقق حلمه القديم.. ويعود إلي مصر بشكل نهائي.. ويسترد مواطنته وجنسيته

المصرية.. كان يحلم بأن يعود (رفعت على سليمان الجمال) ذلك المواطن الدمياطي الأصل.. الذي يعشق وطنه بجموح.. ويكفيه ما عانه من كراهيته لقناع جاك بيتون الذي ظل يرتديه ويتحدث بلسانه اليهودي القميء طيلة حوالي خمسة عشر عاماً.. وكان ما أشد كراهيته للإثنين.. ولكن المخابرات المصرية أخبرته أن في ذلك خطر في حالة اكتشاف أمره على حياته وحياة أسرته.. سواءاً المصرية.. أو زوجته وولده الألمانيين.. إلي أن أتيحت لـه الفرصة في سنة 1977حيث أتى كرجل أعمال ألماني يريد إنشاء شركة بترول يستطيع من خلالها التنقيب عن البترول في صحراء مصر.

وفاة الهجان:

بعد عودة الهجان إلي مصر قرر كتابة مذكراته.. وبالفعل شرع في كتابتها وبعد الانتهاء منها سلمها إلي محاميه وطلب منه أن يسلمها إلي زوجته بعد وفاته.. وذلك حتى تعرف شخصية زوجها الحقيقة ويعرف أولاده أن والدهم كان بطلاً.. عاش ومات في خدمة بلده ووطنه.. في تلك الفترة بدأت تظهر عليه أعراض المرض وبعد إجراء الفحوصات الطبية وجد أنه مصاب بمرض سرطان الرئة فسافر الهجان إلي ألمانيا للعلاج واشتد عليه المرض أكثر وأكثر.. و في يوم 30 يناير من عام 1982 في إحدى المدن القريبة من فرانكفورت بألمانيا توفي الهجان أخطر جاسوس صنعته مصر والمخابرات المصرية.. وتم دفن جثمانه في تلك المدينة الألمانية.

وصية الهجان كما كتبها قبل وفاته:

(وصيتي.. أضعها أمانة في أيديكم الكريمة السلام على من اتبع الهدى بسم الله الرحمن الرحيم إنا لله وإنا إليه راجعون لقد سبق وتركت معكم ما يشبه وصية.. وأرجو التكرم باعتبارها لاغية.. وها أنا ذا أقدم لسيادتكم وصيتي بعد تعديلها إلي ما هو آت: في

حالة عدم عودتي حياً أرزق إلي أرض الوطن الحبيب مصر أي أن تكتشف حقيقة أمري في إسرائيل.. وينتهي بي الأمر إلي المصير المحتوم الوحيد في هذه الحال.. وهو الإعدام.. فإنني أرجو صرف المبالغ الآتية:

1- لأخي من أبى سالم على الهجان.. القاطن.. برقم.. شارع الإمام على مبلغ.. جنيه.. أعتقد أنه يساوى - إن لم يكن يزيد - على المبالغ التي صرفها على منذ وفاة المرحوم والدي عام 1935.. وبذلك أصبح غير مدين له بشيء.

2- لأخي الحبيب على الهجان.. ومكتبه بشارع عماد الدين رقم..... مبلغ... كان يدعى أنى مدين له به.. وليترحم على إن أراد

3- مبلغ... لشقيقتي العزيزة شريفة حرم الصاغ محمد رفيق والمقيمة بشارع الفيوم رقم.. بمصر الجديدة بصفة هدية رمزية متواضعة مني لها.. وأسألها الدعاء لي دائما بالرحمة.

4- المبلغ المتبقي من مستحقاتي يقسم كالآتي: نصف المبلغ لطارق محمد رفيق نجل الصاغ محمد رفيق وشقيقتي شريفة.. وليعلم أنني كنت أكن له محبة كبيرة.. النصف الثاني يصرف لملاجئ الأيتام بذلك أكون قد أبرأت ذمتي أمام الله.. بعد أن بذلت كل ما في وسعى لخدمة الوطن العزيز.. والله أكبر والعزة لمصر الحبيبة إنا لله وإنا إليه راجعون.. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

تلك كانت وصية (رفعت على سليمان الجمال) الرجل الذي عرف إعلامياً.. وطبقت شهرته الأفاق بإسم (رأفت الهجان).. أو الذي صك بني صهيون علي أقفيتهم بإسم (جاك بيتون).. رحمه الله تعاليّ.. وغفرّ له غفراناً.. واسعاً.

***

جمعة الشوان

واسـمه الحقيقـي أحمـد محمـد عبـد الـرحمن الهـوان.. مـن مواليـد مدينـة السـويس.. يعتبـر مـن أهـم العمـلاء الأبطـال الـذين خاضـوا الصـراع المخـابراتي المصـري الإسـرائيلي.. خلـق موجـة غيـر مسـبوقة مـن التفـاف الـرأي العـام حـول بطولتـه والإشـادة بهـا عنـدما تـم إبـراز بطولتـه ودوره مـن خـلال المسلسـل الشـهير دمـوع فـي عيـون وقحـة الـذي عرضـته جميـع شاشـات الـوطن العربـي.. بـالرغم أن المسلسـل لـم يقـدم الحقيقـة كاملـة للجمهـور.. بـل أن كـل مـا قدمـه منهـا لـم يتجـاوز أكثـر مـن 7٪ فقـط.. لأنـه عنـد بـدء تصـوير المسلسـل 1980 لـم يكـن مضـى علـى إنهـاء ملـف الشـوان أكثـر مـن عـامين.. بينمـا تـنص القـوانين المصـرية علـى ضرورة مرور 25 عاماً على الأقل للإفراج عن الملفات المخابراتية.

***

وعلـي مـدار 11 عامـاً تمكـن هـذا البطـل المصـري مـن خـداع المخـابرات الإسـرائيلية.. دخـل وخـرج خلالهـا مـن وإلـى تـل أبيـب مـرات عديـدة.. وتعامـل فيهـا مباشـرة مـع كبـار المسـئولين فـي الموسـاد فـي ذلـك الوقـت وفـي مقـدمتهم (شـيمون بيريـز) الـذي أصـبح رئيسـاً لـوزراء إسـرائيل فيمـا بعـد.. وكـان هـو رئـيس المخـابرات الإسـرائيلي الـذي تسـلم منـه أجهـزة الإرسـال الـذى كـان يعـد وقتهـا هـو أحـدث صيحة فـي عـالم الجاسوسـية.. كمـا كـان قبـل ذلـك هـو ضـابط المتابعـة الـذى يتـولى ملـف عمالتـه لصـالحهم.. كانـت هـذه الأجهـزة لا يتسـلمها إلا أكثـر الجواسـيس أهميـة وقيمـة لـدى أجهـزة المخـابرات التـى تشـغلها.. وقـام الشـوان وكمـا هو معروف بتسليم الأجهزة بدوره للمخابرات المصرية..

كمـا تمكـن مـن خـلال عملـه كعميـل مـزدوج.. وقربـه الشـديد مـن قـادة الموسـاد

من الحصول لمصر على معلومات غاية فى الخطورة.. كان لها دور كبير في انتصار القوات المصرية في حرب أكتوبر 1973.. فقد استطاع الشوان تكوين علاقات صداقة علي مستوى عال للغاية مع كبار الشخصيات في إسرائيل مثل (عيزرا وايزمان) و(ديفيد اليعازر).. بالإضافة بالطبع إلى شيمون بيريز.. وجميعهم من أشهر الأسماء في تاريخ إسرائيل.. وتقلدوا مناصب غاية في الخطورة هناك..

وتمكن أيضاً من تجنيد إحدى ضابطات الموساد تسمى (جوجو) كانت قد ارتبطت معه بقصة حب شديدة أثناء إقامته في اليونان تجنيداً عكسياً لتصبح هي الأخرى من أهم عميلات المخابرات المصرية[1].

كما قام بتسليم الأموال التي حصل عليها من الموساد طوال فترة عمله منذ عام 1967 تاريخ تجنيد الموساد له.. وحتى اعتزاله وإنهاء ملفه عام 1978.. للسلطات المصرية أولا بأول.

ولم تكن المبالغ التى حصل عليها من الموساد طوال هذه الفترة قليلة.. بل كانت مئات الآلاف من الدولارات.. نظير خدماته التي كان يقوم بها تحت إشراف المخابرات المصرية وعلمها.. فقد كانت أول دفعة مالية يحصل عليها من الموساد قيمتها 180 ألف دولار.. اشتري - حسب تعليمات الموساد له - بجزءٍ منها شقة لتكون مركزاً لعمليات التجسس التي كان مكلفا بالقيام بها..

1- بعد تجنيدها للعمل لصالح المخابرات المصرية تمكنت من تقديم معلومات غاية في الدقة استفاد منها الجيش المصري في حرب أكتوبر ويذكر أن " جوجو " التى يقترب عمرها الآن من الستين عاما أشهرت إسلامها فيما بعد وتنقبت واختارت اسم " فاطمة الزهراء " ليكون اسمًا لها .. وأدت العمرة وحجت مرتين .. وذلك بعد أن تمكن الشوان فيما بعد انتهاء حرب التحرير فى 1973 وتنفيذاً.. لأوامر المخابرات المصرية من احضارها لتقيم في مصر حفاظاً على حياتها .. حيث لا زالت تقيم حتى الآن.. بعد أن تزوجت مصريا وأنجبت منه ولدين وبنت ..

وكذلك سيارة مستعملة ليستخدمها في تنقلاته.

***

وبدأت قصته مع الموساد عام 1967.. بعد نكسة يونيو.. حينما قرر ترك السويس.. ثم مصر جميعها بعد أن تم تهجيره هو وأسرته ضمن مئات الأسر التى تم تهجيرها لمختلف محافظات مصر من مدن القناة الثلاثة.. وانتقل بأسرته المكونة من أمه.. وشقيقه الأصغر (مصطفى).. وابنة خالته التى فقدت بصرها أثناء انفجار إحدى القنابل بالقرب من منزلهم فى السويس وكانا مرتبطان معا بقصة حب منذ طفولتهما.. وفى القاهرة حيث استقرت الأسرة بأحد الأحياء الشعبية عقد قرانه على ابنة خالته.. ثم سافر متوجها إلى أثينا ليبحث عن عمل.

***

وهناك قابل شخصا يدعى الريس زكريا عرفه على نفسه بأنه رجل دمياطي يبحث هو الآخر عن عمل.. وعندما ضاقت به الدنيا هناك باع له ساعته كي يأكل بثمنها.. وبعد عام من إقامته باليونان بدأت قصته مع الموساد.. حيث تم وضعه تحت المراقبة على مدار شهور عديدة.. بعدها قرروا تجنيده.. ولما اطمئنوا إليه تماماً أعطوه 130 ألف دولار وأمروه بالعودة إلى مصر ليلعب دورا ما كانوا يعدونه له.. وهو اختراق خلايا المقأومة الشعبية في مدن القناة التى كان على علاقة طيبة وقديمة بالعديد من رجالها.. وبعد وصوله لمصر مباشرةً وضع المبلغ فى شنطة كبيرة.. وذهب إلى مقر رئاسة الجمهورية وأبلغهم بالأمر.. وأصر على أن يسلم الشنطة بنفسه للرئيس جمال عبد الناصر.. مساهمة منه فى المجهود الحربي.. فوافق عبد الناصر على مقابلته وأثنى على وطنيته ووعده بمنحه وسام الجمهورية بنفسه عندما ينتهي من مهمته.. لكن توفى عبد الناصر

قبل أن يتم هو مهمته في تل أبيب.

وأمر الرئيس عبد الناصر وقتها باصطحابه إلي أجهزة المخابرات ليشرح لهم هناك تفاصيل اصطياده من قبل (الموساد) للعمل معهم.. وهناك قابل الريس زكريا الذى لم يكن إلا ضابط المخابرات المصري الذي قابله في اليونان.. وهو نفسه اللواء محمد عبد السلام المحجوب وزير التنمية المحلية.. ومحافظ الإسكندرية السابق..

وأصبح الضابط المسئول عن هذه العملية.

وفي مصر كان يتعامل مباشرة مع كبار المسئولين عن المخابرات في ذلك التوقيت مثل المشير أحمد إسماعيل والفريق كمال حسن علي.. وغيرهما.. والتقى بكل من الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس أنور السادات شخصياً.

***

اعتزال مبكر.. وعودة بأوامر رئاسية..

وبعد انتصار مصر.. وانتهاء الحرب.. قرر الشوان اعتزال الجاسوسية.. وكان السادات على علم تام ومعرفة بكل ما يقوم به الشوان من خدمات لمصر.. فأرسل إليه مع أحد ضباط المخابرات يدعوه ليتناول معه العشاء وحضر هذا اللقاء المرحوم المشير أحمد إسماعيل.. وأثناء تناولهم الطعام أخبره الرئيس بأن المخابرات المصرية تعده لأكبر دور له فى تاريخه مع الموساد.. ولتوجه من خلاله بتلك الضربة أكبر صفعة للمخابرات الإسرائيلية.. وأقنعه السادات شخصيًا بأن يعدل عن قراره بالإعتزال.. وقال له (إذا طلبت منك مصر أن تضع رأسك تحت الترماي فافعل).. وعندها قرر الشوان الإمتثال لأمر الرئيس.. والاستمرار في العمل.

وكانــت المهمــة المطلوبــة منــه هــذه المــرة هــى الحصــول مــن المخــابرات الإســرائيلية علــى ذلــك الجهــاز الصــغير جــدا.. والخطيــر.. الــذي يســتطيع إرســال برقيــة كاملــة فــي خمســة ثــوان فقــط.. وهــو مــا كــان يمثــل وقتهــا إعجــازا تكنولوجيــا غيــر مســبوق.. كمــا أن هــذا الجهــاز لــم تكــن تملكــه إلا إســرائيل والمخــابرات المركزية الأمريكية التى صنعت الأجهزة.

***

وســافر الشــوان إلــى إســرائيل.. ودخلهــا بجــواز ســفر كــان الموســاد قــد أصــدره لــه فيمــا مضــى باســم (يعقــوب منصــور).. وكانــت مهنتــه المدونــة فيــه أنــه يعمــل ســكرتيرا أول بالســفارة الإســرائيلية برومــا.. وعنــدما وطــأت قــدماه مطــار بــن جوريــون اســتقبله منــدوب (الموســاد) اســتقبال الأبطــال.. ثــم ذهــب لزيــارة شــيمون بيريــز وكــان وقتهــا يشــغل منصــب رئــيس (الموســاد).. وفــى نفــس الوقــت رئيســه المباشــر.. وحصــل خــلال تلــك المقابلــة علــى جهــاز الإرســال الحــديث الــذى يســتطيع إرســال برقيــة فــي خمســة ثــوان فقــط وتــم إخفــاؤه فــي فرشــة حــذاء.. وعنــدما أمســك بهــا "بيريــز" وجــد أنهــا جديــدة ولــم تســتعمل مــن قبــل.. فنهّــر الضــباط.. وقــال (أيعقــل أن تكــون الفرشــاة جديــدة)؟.. فجلــس أســفل قدميــه ومســح للشــوان حذائــه بالفرشــاة بنفسه إلي أن صارت مصبوغة بلون الحذاء..

***

كريستين كيلر..
أميرة الجاسوسية.. وجاسوسة القرن!!

هي أشهر من ارتدي ثوب الجاسوسية من النساء عبر كل المرحل التاريخية.. قصتها تعد النموذج الأمثل لكل التطبيقات المخابراتية في كيفية صناعة الجاسوس.. وتشغيله.. وتصعيده.. ثم التخلص منه.

وكل من يقرأ حياة أميرة الجاسوسة البولندية (كرستين جرنفيل) وهذا هو اسمها الحقيقي.. يصل لنتيجة واحدة.. وهي أنه تستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقه عليها رئيس الوزراء البريطاني الأشهر " ونستو ن تشرشل " وهو أميرة الجاسوسية.. فقد كانت جميلة وشجاعة في آن واحد.. واستطاعت أن تدوخ البوليس السري النازي الذي كان يُعد أحد أعتي المؤسسات الاستخبارية في العالم.

.. ومن خلال جمالها دخلت المناطق الأخطر ونفذت إلي قلوب شخصيات معروفة وبارزة كما استطاعت بشجاعتها أن تتحدي الموت أكثر من مرة في زمن الحرب.

ولم تكترث لشيء من أجل أن تنقذ رفيقاً من حبل المشنقة أو لتصل إلي الهدف.. وكثيراً ما نجحت في بلوغ ما أُسند إليها ليس باستغلال جمالها فحسب.. ولكن عن طريق ذكاءها.. ودهائها.. وسعة حيلتها.

وعلي الصعيد العاطفي هناك الكثير من الرجال الذين مروا في حياة كرستين جرنفيل وهاموا بها ومنهم (إيان فلمنج) الأديب البريطاني الشهير الذي استطاع أخيراً أن يخلدها كبطلة من خلال شخصية فيسر لند في كتابه (فتاة بوند الأولي).

لقد كانت مفعمة بالحيوية والشباب.. ولها عينان فاحمتا السواد تضجان بالإثارة الذي يسحر الناظر إليها من أول وهلة.. ولأن جمالها كان سيفاً ذا حدين فقد كان سبباً في نجاحها في المهمات التي أوكلت إليها وعلي الجانب الآخر كان سبباً في وضع نهاية لحياتها.

ولا بد من الإشارة إلي أن الكثيرين شعروا بأنوثتها الدافقة.. ومن بين الذين ابتلوا بتلك المهرة الجامحة كان إيان فلمنج الكاتب الذي أبدع أسطورة جيمس بوند. فقد ارتبط الاثنان وطوال سنة كاملة بعلاقة حب عنيفة حتي عندما وصلت الي محطتها النهائية لم يستطع إيان نسيانها علي الإطلاق.

قدرات وخبرات غير متوقعة:

تم إنزال كرستين ذات مرة بالبراشوت في بعض المناطق التي يحتلها النازيون وكانت دائماً تنجح في التخلص والهروب من الأسر والموت.. لقد كانت أعمالها البطولية أكثر من أي امرأة أخري عملت بنفس المهنة.. فكانت وكأنها درة في عقد الجاسوسية تتألق بكل المؤهلات وروعة الشخصية الخيالية.

وبالرغم من اسمها الذي يبدو إنجليزياً فإنها كانت بولندية - الجنسية - واتخذت لها اسم كرستين جرنفيل خلال اندلاع الحرب العالمية الثانية.. وكانت من بين أكثر النساء العميلات اللائي خدمن لفترة طويلة وقد أصبحت جاسوسة قبل أشهر من تأسيس إدارة العمليات الخاصة (SOE) في يوليو 1940.

جاسوستي المفضلة:

لذا فإن الخبرة التي كانت عليها في الجاسوسية جعلتها تفرض نفسها لا سيما أن فكرة التجسس بإسقاط امرأة خلف خطوط العدو وفي المناطق التي يحتلها كانت خارج سياسة الإدارة.. لقد أدهشت ونستون تشرشل بتقاريرها التي

أرسلتها عـام 1941 عـن أن الـدبابات الألمانيـة تحتشـد علـي الحـدود الروسـية حيـث كانـت بمثابـة دلالـة علـي أن غـزو الاتحـاد السـوفييت علـي وشـك البـدء.. لـذلك فقـد كـان مبتهجـاً جـداً بالمعلومـات ووصـفها عنـدما كانـت فـي سـن السادسـة والعشـرين بـ (جاسوستي المفضلة).

حياة كرستين جرنفيل:

ولـدت فـي العاصـمة البولندية وارسو من أب ينحـدر من احدي العـائلات البولنديـة الارستقراطية وكانت أمها - ستيفاني جولـد فيدر ابنـة احد الشخصيات اليهوديـة البـارزة في قطاع البنوك.

زواج فاشل:

تربـت كرسـتين فـي كنـف عائلـة ثريـة وعاشـت حيـاة الرفاهيـة بكـل مـا تحملـه الكلمـة مـن معنـي.. الـي أن فقـد والـدها الكثيـر مـن الأمـوال بسـبب إفراطـه فـي الملـذات ممـا جعلهـا تقـرر الـزواج بسـن مبكـرة غيـر أن ارتباطهـا مـن رجـل أعمـال وهـي مـا تـزال فـي سـن الثانيـة والعشـرين لـم يكـن ناجحـاً إذ سـرعان مـا انفصـلت عنــه وعــادت فــي عــام 1938 وتزوجــت مــن الكاتــب البولنــدي جيــرزي جيزيــزك وكـان الزوجـان يعيشـان فـي شـرق أفريقيـا عنـدما غـزت ألمانيـا بلادهمـا بولنـدا فـي سـبتمبر 1939 ممـا جعـل كرسـتين تعـود مباشـرة الـي أوروبـا وعنـدما وصـلت الـي لندن عرضت خدماتها في القتال ضد الألمان.

تدريب شاق:

ومـن جـانبهم أبـدي البريطـانيون اهتمامـاً قلـيلاً لكنهـا فـي النهايـة كسـبت الجولـة بفضـل مـا أسـمته بالاتصـالات.. وتلقـت كرسـتين تـدريباً شـاقاً فـي مجـال التجسـس فضـلاً عـن تـدربها علـي القتـال الأعـزل علـي يـد كـم فلبـي الـذي أصـبح فيمـا بعـد

جاسوس الحرب الباردة.

وسرعان ما أرسلت إلي هنجاريا ومن ثم تسللت إلي بولندا. وحاولت جاهدة إقناع والدتها بمغادرة البلاد لكن من دون فائدة.. غير أن رحلتها لم تكن بلا فائدة حيث استطاعت أن تساعد في تهريب بندقية مضادة للدبابات. وأثناء عودتها إلي هنجاريا تأثرت كثيراً بضابط الجيش البولندي اندرزج كورسكي الذي كان ضليعاً منهمكا بالعمل الاستخباري.. وعندما اعتقلا من قبل الجستابو في يناير 1941 حصلا علي إطلاق سراحهما من خلال التظاهر بإصابتهما بالسل.

الفــرار:

واستطاعت كرستين وحبيبها أن يفرا من البلاد عبر البلقان إلي تركيا.. وقد صعق زوجها جيرزي جيزيزك عندما أخبرته أنها تحب أندرزج كورسكي ولم يحتمل ذلك الأمر الذي جعله يغادر إلي لندن ثم الهجرة إلي كندا وقد تطلقا بعد الحرب.

بصمة خاصة من التميز:

وفي عام 1944 أسند لها منصب في القسم الفرنسي في إدارة العمليات الخاصة SOE وقد استخدمت لأول مرة اسم كرستين جرنفيل. وتركت بصماتها من خلال العمل هناك بحيث أنها نالت إعجاب فيرا أتكنس - مساعد مدير إدارة العمليات الخاصة - الذى وصفها بأنها امرأة شجاعة جدا.

وقد اختيرت كرستين لتأخذ مكان أحد العملاء الذين أعدمهم البوليس السري النازي.. وأنزلت بواسطة المظلة في جنوب شرق فرنسا في 6 يوليو 1944 وقد أصبحت جزءاً من شبكة شهيرة يديرها العميل البلجيكي فرانسز

كـامريتس فـي الثالـث عشـر مـن أغسـطس 1944 فـي ديجـن وقبـل يـومين مـن الانـزال الـذي نفـذه الحلفـاء فـي الجنـوب الفرنسـي تـم إلقـاء القـبض علـي كـل مـن العميـل فرانسـز كـامريتس والعميـل البريطـاني اكسـان فيلـدنج وزميـل آخـر مـن قبـل البوليس السري الألماني.

جريئة لحد التهور:

وهنـا عرفـت كرسـتين أن الرجـال الثلاثـة سـوف يـتم إعـدامهم لـذلك قامـت بترتيـب الأمـر والتقـت بضـابط مـن البـوليس السـري النـازي وقـدمت بكـل جـرأة نفسـها كابنـة أخ الجنـرال مـونتجمري.. ولـم تكتـف بـذلك بـل ذهبـت إلـي مـا هـو أبعـد مـن ذلـك فـي تماديهـا وهددتـه بأنهـا سـتنتقم منـه انتقامـاً لا يوصـف فيمـا لـو حـدث أي مكـروه للأسـري.. ومـن جانبـه صـدق الضـابط الألمـاني ادعاءاتهـا الكاذبـة وبهـذا اسـتطاعت إنقـاذ زملائهـا وهـو الأمـر الـذي جعـل كرسـتين تحصـل علـي ميداليـة جـورج ومـن ثـم ميداليـة OBE. وبعـد سـنوات قالـت بأنهـا لـم تكـن مدركـة لأي خطـر قـد يحـيط بهـا بسـبب إقـدامها علـي تلـك الحيلـة.. ولكنهـا وبعـد أن بـدأت بـالهرب مـع رفاقهـا أخـذت تتـذكر بأنهـا كانـت يمكـن أن تكتشـف ويـذهب الجميـع إلـي حبـل المشـنقة وقـد أخبـرت أحـد رفاقهـا (لقـد فكـرت مـع نفسي.. ما الذي فعلته؟ كان يمكن أن نقتل ثلاثتنا).

لقد كان اسهامها في تحرير فرنسا لـه وقـع كبير في نفوس الكثيرين وقد اعترف بجهودها بمنحها وسام فرنسا الأشهر كرويكس دي جوير. ولكن بعد الحرب - وبالرغم من الاعتراف بشجاعة هذه المرأة - بدا من الواضح أنها أهملت من قبل إدارة العمليات الخاصة SOE وسرحت من الخدمة بمبلغ نقدي قدره 100 جنيه استرليني فقط.

كتب عن حياتها:

كتب أكسان فيلدنج في كتابه (أختفي وأسعي) والذي كان يتناول سيرة كرستين بالتفصيل وصدر في عام 1954: بعد الصعوبات الجسدية والضغوطات العقلية التي عانت منها كرستين طوال خدمة السنوات الست في إدارتنا.. كانت ربما الأكثر حاجة من أي عميل آخر عمل معنا لتأمين الحماية اللازمة لها طوال حياتها الباقية. ولكن العكس قد حصل فبعد أشهر سُرحت كرستين براتب شهري محدود وتركت في القاهرة لتناضل من أجل نفسها.

وفي الوقت الذي كانت فخورة جداً فيما لو طلب منها تقديم أي مساعدة أخري قدمت كرستين طلباً للحصول علي جواز سفر بريطاني وقد حدث في ذلك الوقت الذي تنازل فيه التحالف الانجلو امريكان عن بلدها حيث كانت ضربة قوية عندما وافق كل من تشرتشل وروزفلت علي طلب ستالين في الحصول علي بولندا.

وبالرغم من ذلك فقد تأخرت أوراق الحصول علي الجواز البريطاني بطريقة فيها الكثير من البيروقراطية.

السفر والتجوال:

وفي هذه الأثناء.. وبفقدانها لكل الأمل بالحصول علي المظلة الأمنية.. انطلقت كرستين وبتعمد في حياة ملؤها السفر والتجوال في بلدان العالم علي غير هدي.. وكأن القلق الذي في داخلها تفجر من أجل البحث عن وسيلة لتعيش أوقات سلم بدلاً من تلك التي عاشتها إبان عملها كجاسوسة حيث كانت تتحدي الموت من دون أي اكتراث وخلال الفترة التي تلت الحرب التقت كرستين - عندما كانت في الثلاثينيات بـ (إيان فلمنج) الذي كان قد سرح حديثاً من استخبارات البحرية حيث بدأت بينهما علاقة غرامية.

والمفارقة أن الاثنين أخذا يلتقيان في فندق اسمه جرنفيل في دوفر. واستمرت علاقة فلمنج مع كرستين حوالي السنة إلا أنهما انفصلا بعد ذلك.

من يصدق؟

وتنحدر بها الأمور أكثر بحيث أنها تذهب للعمل كمضيفة بواخر في احدي الشركات التي لديها أسطول وعند عودتها إلي بريطانيا في مطلع الخمسينيات بدت كرستين وكأنها إنسانة ضائعة وكانت تسعي للعلاقات الغرامية والرفقة كلما استطاعت إلي ذلك سبيلاً.

ومع ذلك فإن تأثيرها لم يغادر مخيلة إيان فلمنج بحيث أنه أدمن علي شرب الكحول وأصبح كلما يتذكر كرستين يذهب لاحتساء الفودكا من دون توقف.

النهاية جاءت مأساوية:

وبحلول صيف عام 1952 كانت تربط كرستين علاقة صداقة بالمدعو جورج مولدوني الذي التقته عندما كانت تعمل كمضيفة في إحدي السفن.. وظلا يتواصلان ويلتقيان.. وكان جورج يعمل بواباً في نادي الإصلاح في لندن بول مول. وكانت دواخل جورج تضطرب بالشهوة الغرائزية لكرستين لكنها كانت دائماً تصده وتقول له بأنها تعتبره صديقاً.

ولكن في السابع عشر من يونيو عام 1952 شاهد كرستين تتمشي في أحد شوارع لندن مع رجل آخر فانتابته ثورة من الغيرة أوقدت غضبه الكامن.. وبعد ذلك بفترة التقي بها أيضاً وكان الرفض هو جوابها وقد أخبرته أنها تنوي أن تغادر لندن للعيش في كونتنت لمدة سنتين علي أقل تقدير.

وما كان من جورج مولدوني الذي يعيش فورة غضب إلا أن يستل سكيناً ويطعن كرستين في قلبها.. وعلي الأكثر أنها توفت مباشرة أما جورج فبعد محاكمة طويلة صدر الحكم بإعدامه.. ثم تم شنقه.

حقاً إنها نهاية مأساوية وغير مقبولة لامرأة جميلة وشجاعة استطاعت أن تتحدي الموت أكثر من مرة في زمن الحرب لذا فإن قصتها علي الجانب الآخر فيها الكثير من الحزن فهي لم تعش لترى الشخص الذي أحبها ذات يوم - إيان فلمنج - كيف خلدها اليوم كبطلة في شخصية فيسبر ليند فتاة بوند الأولي.

* * *

الفصل الخامس:

القرن الحادي والعشرين

صــــراع مخابراتــــي

فوق صفيحٍ ساخن

(3000) اغتيال واعتقال

نفذتها مراكز استخباراتية أمريكية حول العالم كضربية لأحداث 11 سبتمبر.

كشفت وسائل الإعلام في الولايات المتحدة أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أقامت شبكات سرية بالتعاون مع الحلفاء في أوروبا والشرق الأوسط وآسيا لمكافحة الإرهاب.

وأشارت إلى أن هذه الشبكات ومركزها العام في فرنسا.. تتوزع على 24 بلداً في العالم.. حيث يتعاون العملاء الأمريكيون والمحليون في هذه الدول على اقتفاء آثار مشتبه فيهم وجماعات إرهابية.

وذكرت أن وكالة الاستخبارات الأمريكية توفر الأموال والتقنيات للعمل. وأشار التقرير نقلاً عن شهادة سرية أمام الكونجرس أن هذه الشبكات نجحت في تنفيذ أكثر من 3 آلاف عملية اعتقال واغتيال منذ أحداث 11 سبتمبر (أيلول) 2001.

وكشفت أن هذه الشبكات تعمل متجاوزة أجهزة الأمن والاستخبارات في دول المراكز وتتعاون مع عناصر محلية تعينها الحكومة الحليفة.

وجاء ذلك ليزيد من حرج الإدارة الأمريكية مع حلفائها بعد الكشف عن السجون السرية والطائرة التي تديرها الاستخبارات الأمريكية في نحو 8 دول أوروبية غربية وشرقية وآسيوية وشرق أوسطية.

جاءت هذه التسريبات جاءت على خلفية خلاف بين بعض قادة وكالة الاستخبارات الأمريكية.. ومديرها الجديد بيتر جوس الموالي لبوش.. والذي يرغب في إدخال تغييرات جذرية في الوكالة.. وشككت المصادر ذاتها في الأرقام التي كشفت عنها تسريبات تفيد أن الولايات المتحدة اعتقلت منذ بدء حربها ضد الإرهاب 83 ألف شخص.. غير معتقلي الـ (C. I. A) الثلاث آلاف.. ورجحت المصادر أن يكون الرقم

أكبر من ذلك بكثير.. خاصة أن الولايات المتحدة تدير معتقلات سرية في أكثر من 24 دولة حول العالم.. من بينها دول عربية.

وكانت تقارير نشرت في الولايات المتحدة أكدت أن الاستخبارات المركزية الأمريكية قتلت 108 معتقلين واختطفت 150 شخصاً نقلتهم إلى دول شرق أوسطية.

المخابرات الأمريكية في أفغانستان:

من جهة أخرى.. كشف جنرال أمريكي في أفغانستان أن الوضع في هذا البلد يزداد سوءاً على عكس ما تصوره الإدارة الأمريكية.. وأشار إلى أن مسلحي "طالبان" باتوا أكثر تنظيماً وخطراً.. الأمر الذي يهدد بإحباط قرار بسحب معظم القوات الأمريكية (18 ألفاً) من أفغانستان بحلول العام المقبل.. وإرسالهم إلى العراق. وذكر الجنرال قائد كتيبة نسور الصحراء أن العام الحالي كان أكثر دموية حيث شهد مقتل 87 جندياً أمريكياً أى ما يزيد بقليل عن نصف مجموع القتلى الأمريكيين منذ بداية غزو أفغانستان في ديسمبر 2001.

وتوقعت مصادر أمريكية أن يزيد الوضع سوءاً في أفغانستان حال استبدال قوات حلف الأطلسي بالقوات الأمريكية.. لأن قوات "الناتو" لا تحبذ الاشتباكات المباشرة في المناطق الوعرة كأفغانستان.

وتساءلت المصادر عما إذا كان الانسحاب هو "تجربة" لانسحاب اضطراري من العراق

المخابرات الإسرائيلية.. ودورها في حادث " لوكيربي ".. وسياستها في تجنيد عملاءها في مصر.. والشرق الأوسط!!

أحد رؤساء الموساد الإسرائيلي السابقين ويدعى " جوردون توماس "ألف كتابا" بعنوان " جواسيس جدعون.. التاريخ السري للموساد" كشف فيه أسرار وحقائق خافية..

ومنها تأكيده عدم مسئولية ليبيا عن حادثة " لوكربي " واتهام إيران بهذه الحادثة.. فهل هذه هي الحقيقة.. خاصة بعد ثبوت براءة ليبيا؟.. أم أنها كذبة أخرى من أكاذيبهم.. فلننظر ماذا قال.. رئيس الموساد السابق في كتابه.

يقول " جوردون توماس " أن طائرة البان ام.. التي تفجرت فوق لوكربي.. كانت تضم بين ركابها ضباطاً من وكالة الاستخبارات الأمريكية.. حيث وجدت احدى حقائبهم فارغة تماماً.. وتبين فيما بعد أن الموساد وبمساعدة المخابرات الإنجليزية قامت بسرقة محتويات هذه الحقيبة.. وكانت عبارة عن مستندات تؤكد تورط إسرائيل في تجارة المخدرات في الشرق الأوسط وأخرى تتعلق بصفقات أسلحة إسرائيلية سرية.

وتأتي هذه المعلومات لتضاف إلى أخرى شبيهة تراكم الدلائل على السبل التي تعتمدها إسرائيل في محاولاتها للاستغناء عن الدعم الأمريكي لاقتصادها.. وذلك تحسباً لمحاولات تقنين هذا الدعم بعد نهاية الحرب الباردة.. حيث ارتفعت أصوات أميركية تطالب بوضع استراتيجية ملائمة للمصالح الأمريكية لما بعد هذه الحرب.. ومنها تقليص الدعم الأمريكي الموجه أساساً لمواجهة الشيوعية والذي لم يعد مبرراً بعد سقوطها.

ولقد تبين حتى الآن عجز إسرائيل عن تحقيق استقلاليتها الاقتصادية بالأساليب المشروعة.. خصوصاً عندما نأخذ في الاعتبار أن متوسط دخل الفرد في إسرائيل يصل إلى حدود 16 الف دولار سنوياً.. وهو يعادل مثيله في بعض الدول الأوروبية الكبرى.. ومن أمثلة الكسب الإسرائيلي اللا مشروع المدعومة بالأدلة نذكر:

- التورط في تجارة المخدرات في المنطقة وفي العالم ولكن مع التركيز على اختراق الدول العربية المجاورة بهذه التجارة.. وهو اختراق يجمع بين الكسب المادي وبين التخريب المعنوي والانساني لهذه الدول.

- صفقات الأسلحة السرية مع جهات متعددة..

- بيع الأسرار التكنولوجية - العسكرية (أميركية في أغلبها وتحصل عليها اسرائيل عن طريق التجسس والعلماء اليهود الأمريكيين).. وبرزت من هذه الصفقات في العام 1999 تلك التي أبرمتها اسرائيل مع الصين.. وظهرت شكوك جديدة في أبريل 2000 حول صفقة اسرائيلية لبيع طائرات الأواكس إلى الصين.

- حماية أثرياء اليهود المطلوبين من العدالة الدولية واستقطاب ثرواتهم.. وهؤلاء المجرمون يتحولون إلى مواطنين إسرائيليين فور وصولهم الى اسرائيل.. وذلك وفق قانون العودة اليهودي.

- العلاقات مع الجريمة العالمية المنظمة.. وهي علاقات متعددة الأصعدة.. وقد تكشفت من أساليبها الآتية..

أ- المشاركة اليهودية في الجريمة المنظمة.. حيث تحول بعضهم إلى الصفوف الأولى فيها.. ومنهم رجل المافيا الروسي بيريزينوفيسكي الذي تحكم بالكرملين طوال عهد يلتسين والذي لايزال نافذاً في عهد خلفه بوتين..

ب- مشاركة إسرائيلية عن طريق ضباط متقاعدين يقومون بأدوار تدريبية واستشارية لتجار المخدرات (خاصة في كولومبيا)..

ج- التسهيلات التي تقدمها اسرائيل بصورة مموهة لزعماء الجريمة المنظمة ولمصالحهم..

د- المشاركة الاسرائيلية النشطة في تجارة الأسلحة وتهريبها.. حيث نجد بصمات اسرائيلية في مناطق الفوضى في العالم كافة.

هـ - تهريب البضائع الاسرائيلية الى الدول العربية بكل الوسائل الاحتيالية المتاحة.. بما في ذلك تزوير شهادات المنشأ وإعادة التصدير عبر قبرص أو عبر الدول العربية المتاخمة لاسرائيل.

و- المشاركة في عمليات تبييض(غسيل) الأموال القذرة.. ومنها ما تم الكشف فيه عن دور الموساد في فضيحة غسيل الأموال الروسية في الولايات المتحدة (1999) والتي تسببت بأزمة دبلوماسية أميركية - روسية.. حتى أن بعضهم ربط بينها وبين استقالة يلتسين في 2000/1/1..

ز- دفن النفايات النووية والكيميائية في أراض عربية محتلة أو متاخمة لحدود الدول العربية..

ح- وجود أصابع يهودية في الكوارث الاقتصادية العالمية كافة.. فقد كان اليهودي بيريزينوفيسكي مسؤولاً عن الإنهيار الاقتصادي الروسي واليهودي جورج شوروش كان مسؤولاً عن انهيار النمور الآسيوية... الخ..

ط- بيع معلومات الجاسوسية.. وما خفي منها أكثر مما هو معلن.. والأمر يحتاج إلى بضع سنوات كي تتضح هذه الأسرار.

ك- ابتزاز العالم تحت ستار الهولوكوست وصولاً لابتزاز الفاتيكان نفسه (تبدى في زيارة البابا الأخيرة لإسرائيل) وصولاً إلى مطالبة المصارف السويسرية بكميات هائلة من الذهب بحجة أنها مسروقات نازية من أموال اليهود.

ل- التدخل في الشئون الداخلية للعديد من الدول ومحاولة ابتزازها بصور مختلفة.. وأحدث الأمثلة على ذلك.. تلك الضجة التي أثارتها إسرائيل حول النمسا بعد انتخاب هايدر اليميني.. حيث لا تزال إسرائيل تحاول تحقيق المكاسب مقابل تخفيف الضغوطات على النمسا..

هذه هي النماذج التي تحاول إسرائيل عبرها تحقيق كفايتها الاقتصادية ومع ذلك فهي تحافظ على وضعية دولية مثالية اذ تتمتع بـ:

أ- أعلى نسبة من المساعدات الخارجية الأمريكية..

ب- اعتبارها دولة نظيفة من الإرهاب ومن دعمه بالرغم من تحديها المتكرر للقرارات الدولية..

ج- اعتبارها واحة ديمقراطية في المنطقة.. بما في ذلك من تجاهل كونها مجتمعاً عسكرياً يحكمه جنرالات.

د- دولة تحترم مبادئ حقوق الانسان (بالرغم من التقارير المخالفة).

هـ- تحتكر تمثيل المصالح الأمريكية والغربية في المنطقة حتى بعد زوال الخطر الشيوعي.

لهذه الأسباب مجتمعة يتهيب الإعلاميون والمفكرون الغربيون التعامل الواقعي مع حقائق الشرق الأوسط والتجاوزات الاسرائيلية.. حتى لا يلقوا النبذ والعقاب اللذين لاقاهما زملاء لهم تجرءوا على ذلك.. وعوملوا وفق المبادئ الرومانية (الصهيونية) الجاهزة لتجاهل الليبرالية في مثل هذه الحالات.

أما عن مناسبة استحضار هذه المعطيات فهي متشعبة ومنها مأزق المسار اللبناني - السوري الذي تحاول اسرائيل اختراقه على طريقة (المافيا).. حيث تقوم بتهديد وابتزاز الأطراف كافة وتصر على وجود طرف يقدم لها مكاسب مالية (الولايات المتحدة في هذه الحالة).. لكن مناسبة مميزة من جملة مناسبات دعتنا لاستحضار هذه الحقائق وهي تتعلق بالمستقبل.. والمناسبة هي دراسة قدمتها باحثة من جامعة بن جوريون الاسرائيلية تشير الى نموطبقة من مليونيرات المخدرات الاسرائيليين.. والى وجود علاقات وثيقة بينهم وبين بعض كبار ضباط الشرطة الاسرائيليين الذين يحصلون.. نتيجة هذه العلاقة.. على مبالغ طائلة تحول إلى حساباتهم المصرفية في الولايات المتحدة.. كما تشير هذه الدراسة الى أن هؤلاء التجار بدأوا يلجأون إلى حلول عملية تخفض تكلفة بضاعتهم.. وخصوصاً البانجو (مخدر رخيص ورائج).. حيث تفتق

ذهنهم عن تصدير شتول هذا المخدر إلى الدول العربية.. التي تقيم علاقات مع إسرائيل لزراعتها هناك.. وفي ذلك توفير مهم في التكاليف واعتماد عصري لمبدأ الشركة العملاقة.. حيث يطاول التوفير عناصر عديدة.. منها رخص الأراضي واليد العاملة وتوفير تكاليف ومخاطر التهريب.. ثم.. وهذا هو الأهم.. هنالك مكسب السبق الذي يحققه التجار الإسرائيليون في ما يتعلق بمستقبل تجارة المخدرات في المنطقة.. وهكذا فإنهم يفكرون دائماً في المستقبل ويحسبون الحسابات لمختلف الاحتمالات..

ولقد وصلت القضية الى الكنيست الإسرائيلي حيث أثارها عضو ينتمي الى حزب العمل الحاكم.. مؤكداً أنه يملك الوثائق التي تدين التجار وضباط الشرطة معاً.. إلا أننا نتساءل عما إذا كان يمكن للجهتين معاً أن يعملا بعيداً عن أعين أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والأمريكية معاً؟ وعن مدى تورط هذه الأجهزة مع هؤلاء؟ وعن إمكانية التدخل الفاعل لمنع كل هذا؟ وعن هذا السؤال الأخير أجابنا مؤلف "جواسيس جدعون " المدعو " جوردن توماس ".. ولكن من يجيبنا عن سؤال منع هذه الزراعات في لبنان بهدف اتمام حصاره الاقتصادي الضاغط وليس لأسباب أخلاقية أو انسانية؟ وكيف تصنع هذه الأخلاقيات والانسانيات وتطبق على الجميع لتستثني منها إسرائيل؟ وهل يعني ذلك أن من شروط السلام احتكار إسرائيل لتجارة المخدرات حتى تكفل لنفسها دخلاً يعوضها من خفض المساعدات الأمريكية لها ويؤمن لها مستقبلها؟ أم أنها سياسة التطبيع عن طريق البانجو (وغيره من مواد الإدمان) بأسعار في متناول الأيدي الفقيرة؟.. لقد يئست إسرائيل من كل أساليب التطبيع (الهادفة لتحويل الأغيار من العرب إلى مجرد أسماك ملونة في حوض يتفرج عليه الإسرائيليون ويتحكمون بمياهه ونظافته وغذائه) وها هي تلجأ إلى أسلوب التطبيع بالبانجو.. فهل يتحرك مكتب المخدرات في الأمم المتحدة: وهل يمكن لأحد أن يخبرنا بالحصة الإسرائيلية في سوق المخدرات العالمي المسموح بها أميركياً؟ وكلها أسئلة فرعية لأن السؤال الرئيسي يبقى: من يحمينا من الإرهاب الإسرائيلي في صورته هذه كما في صوره الأخرى.

خاتمـة

والآن السـؤال الـذي نخـتم بـه قراءتنـا تلـك لعـالم صـناعة الجواسـيس.. مـن يسـتطيع إيقـاف قطـار الجاسوسـية والتخـابر بـين جميـع الـدول.. الإجابـة.. لا أحـد.. فهـو سيسـتمر دائمـاً فـي طريقـه.. يسـير علـى قضـيبين متـوازيين أحـدهما هـو قضـيب الخيانـة.. والآخـر هـو قضـيب البطولـة.. ويتوقـف القطـار مـن آنٍ لآخـر.. ليهـبط منـه فـى كـل محطـةٍ مـن محطاتـه المزيـد مـن الجواسـيس.. يحملـون فـي حقـائبهم زاد الطريـق الشـاق والصـعب مـن الكراهيـة التـي يقـابلون بهـا فـي كـل مكـان.. ويحملـون فـي جيـوب سـرية فـوق قلـوبهم جـوازات سـفر مختومـة إمـا بخـتم " الخيانـة " لمـن يبيعـون أوطـانهم مـن أجـل حفنـة مـن الـدولارات.. أو بخـتم " البطولـة " لمـن يقـدم نفسـه طواعيـة فـداءاً لوطنـه.. و يسـير كـل مـن الاثنـين فـي طريقـه.. وأمامـه.. أوخلفـه.. شـبح المـوت يطـارده.. إمـا بحبـل المشـنقة الـذي ينتظـره إن تـم القـبض عليه.. أو بطلقة رصاص قد تأتيه في أي لحظة.. من أية جهة.

***

الفهــرس

***

كتب أخرى للمؤلف

1- إلى أين يا عرب؟؟!
2- هكذا تحدث العقاد " قراءة فى فكر العقاد الديني "
3- مواعظ الشيطان.
4- من قتل أشرف مروان.

***

تحت الطبع

1- آلام الأنبياء!! (السمات النفسية والاجتماعية للأنبياء فى ضوء التحليل النفسي)
2- علم التفاوض!!
3- أيام.. وليالي صدام!!
4- أسرار المنصة..!! (التاريخ السري للسادات.. ومقتل أمين عثمان)
5- أوراق شمس بدران!!
6- حب.. وموت.. فى بيروت!! (وقائع عمالة وإغتيال رئيس لبنان بشير الجميل)
7- حكم البيادة.. والسيف (مأساة مصر تحت أقدام الحكم العسكري)
8- لندن.. عاصمة الضباب والموت الغامض!!
9- وجه.. وجسد!! (رواية)
10- إيثار اللحظة.. وإيثارها!! (مجموعة قصصية)
11- أشتاتاً أشتوت!! (مسرحية)
12- مقهى ريش.. ذاكرة أمة!!
13- نجيب سرور (مأساة شاعر قتلته الخيانة)!!
14- جاسوسة على عرش مصر!! (حلم كاميليا الذى أسقطته الوكالة اليهودية فى سماء الدلنجات)
15- فتاوى قاتلة (أشهر الإغتيالات السياسية التى صدرت عن فتاوى دينية)

***